د . إبراهيم مصطفى الخراز

إبراهيم سراج الدين

والوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب

1882 - 1892



إبراهيم سراج الدين

والوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب

1892-1882

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
جامعة الفاتح / كلية الآداب
شعبة الدراسات العليا
قسم التاريخ

إبراهيم مصطفى الخراز

إبراهيم سراج الدين والوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب 1882-1892

خطة بحث مقدمة استكمالاً
لمتطلبات الحصول علي درجة الإجازة العالية
(الماجستير)
في التاريخ الحديث

إشراف الدكتور:
محمد التركي



إعداد الطالب: إبراهيم مصطفي الخراز
إشراف الدكتور: محمد التركي

إبراهيم سراج الدين والوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب

الطبعة الأولى : 2018 م

رقم الإيداع المحلي: 2018/338

رقم الإيداع الدولي: 9789959-25-926-4

وزارة الثقافة والمجتمع المدني - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{ والذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم }

صدق الله العظيم

(سورة الأنفال – الآية **74**).

شكر وتقدير

الشكر والتقدير لأستاذي القدير الدكتور محمد عبد السلام التركي المشرف علي رسالتي هذه الذي ساندني وعاضدني في كتابة هذه الرسالة وقدم لي كل جهد معرفي وأضفي عليه المنهجية العلمية والقيمة المعرفية وزودني بكل نصيحة وأرشدني إلي هذا المستوي العلمي المطلوب.

له مني كل الاحترام والشكر والتقدير فقد شملني بعنايته ورعايته، وكان مضيافاً كريماً وملاطفاً نبيلاً فجزاه الله أحسن الجزاء وزاد علمه وحرصه لمزيد من العطاء لأبناء ليبيا الحبيبة العشق الأبدي.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وتقدري لأستاذي أحمد عطية مدلل الذي نقب بين سطور رسالتي فزادها رسوخاً علمياً وأسلوباً منهجياً وأضفي علي فصولها المزيد من الحقيقة التاريخية فأدخلها في كنه الكمال.

كيف لا أشكر وأقدر عالياً هذا الأستاذ الكبير صاحب العطاء المتواصل في أنبل رسالة وهي رسالة التعليم، ذلك التعليم المقنن الذي صاغه محاضرات ثقافية بمركز الجهاد الليبي والملتقيات الثقافية الأخرى.

كذلك يسعدني أن أقم شكري وثنائي وتقديري لأستاذي الكبير الدكتور فتحي نصار صاحب القضية المركزية فلسطين التي تضامنت معها وأعطيتها

زهرة شبابي نضالاً ومعايشة لكل أحداثها وتطوراتها السياسية بما يخدم تأكيد حق الشعب الفلسطيني في فلسطين من النهر إلي البحر.

فله مني التحية والامتنان لما زودني به من نصائح وإرشادات كانت رصيداً منظوراً في إعداد رسالتي هذه فأرجو له كل تقدم وازدهار في خدمة العلم والمعرفة.

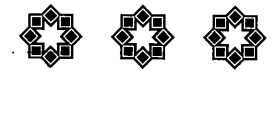
وإذا أشكر أساتذتي الكرام علي ما قدموه لي من مساعدة وجهد متواصل لتمكيني من إعداد هذه الرسالة لابد لي من أن أتقدم بالشكر والتقدير والامتنان لمؤسساتنا الثقافية والعلمية التي كانت ركناً رحباً لاستقبالي واغتراف المعلومات حول موضوع رسالتي من أمهات الكتب وأخص بالذكر مركز الجهاد الليبي الذي ترددت علية كثيراً وأنا أبحث عن كل معلومة وأية وثيقة تاريخية تدخل ضمن موضوع رسالتي هذه.

كذلك أقدم شكري وامتناني للزملاء في مصلحة الآثار بالسراي الحمراء الذين زودوني بالوثائق والمعلومات التي كان لها الأثر الكبير في إعداد هذه الرسالة وأخص بالذكر الأخوة الدكتور خليفة الأحول والأستاذ محمد عريبي والأستاذ نوري أبو بكر أحمد فكل منهم كان مرشداً ومزوداً لي بكثير من الوثائق والمعلومات التي كان لها الرصيد المتميز في كتابة هذه الرسالة ثم إلي كل من ساعدني بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وصولاً إلي اكتمال هذا الجهد المتواضع خدمة للعلم والمعرفة في الجماهيرية العظمي.

الإهداء

إلي والدي / مصطفي حسين الخراز رحمه الله الذي حثني علي العلم وشجعني علي كل معرفة نافعة وكان سبباً فيما وصلت إليه من مستوي علمي وثقافي متواضع.

أهدي هذه المطبوعة لتكون عنواناً واعترافاً بفضله علي.



المقـدمـة

إن تحديد تاريخ هذا البحث من 1882- 1892 مدة زمنية هامة في تاريخ الولاية العثمانية طرابلس الغرب ففي هذه الفترة دخلت هذه الولاية ضمن المشاريع الاستعمارية الأوروبية التي نفدت في الوطن العربي فقد احتلت الجزائر عام 1830 وبدأت فرنسا تتحرك اتجاه الغرب والشرق لاستكمال عملية الاستعمار وبناء وتوسيع الحدود الأمنية لما استولت عليه وكانت سنة 1881 سنة حاسمة بالنسبة لولاية طرابلس الغرب ذلك أن فرنسا استولت علي تونس وكان لهذا تأثير ووقع كبير في نفوس الشعب في هذه الولاية وحتى سلطات الولاية لم تخف هذا الوقع السيئ والحدث الكبيرإلا أنها نتيجة لضعفها وعدم قدرتها الدفاع عن تونس وضعها أمام الأمر الواقع وهو الاستسلام لفرنسا خاصة وان الدولة العثمانية أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السقوط وان كلا من فرنسا وبريطانيا يسعيان لاحتلال ولايات الرجل المريض علاوة علي ذلك فان الولاة وأركان الدولة العثمانية تركوا الولايات العربية خالية من مصادر القوة والمنعة ووسائل الدفاع ناهيك عن التخلف العلمي والاجتماعي والاقتصادي كل هذه عوامل حددت سقوط هذه الولايات العربية في أيدي الفرنسيين والبريطانيين فقد احتلت فرنسا تونس عام 1881 وسارعت بريطانيا إلي احتلال مصر عام 1882 وهذان الحدثان زلزلا الوطن العربي بنهاية الدولة العثمانية في الوطن العربي وكما هو معلوم فان اليقظة العربية كانت مبكرة في محاولة الاهتمام بهذه الولايات العربية وتأتي مرحلة المطالبة بالتغيير وإعلان الدستور والحرص علي ضرورة الإصلاح في هذه الولايات من ابرز السمات التي

ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وكان لرجال الفكر والرأي دورا هاما في إتمام ذلك المشروع الذي ظل يراوح في مكانة نظرا للإهمال الشديد الذي مارسه العثمانيون في مرحلة ظهور الطوارنية والتتريك الأمر الذي أدى بالعرب إلي الجنوح إلي ذاتيتهم والتفكير في الخلاص من هيمنة الدولة العثمانية وكان علي رأس أولئك المفكرين وأصحاب الرأي عبد الرحمن ألكواكبي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي ونجيب عزورى، هؤلاء المفكرين العرب هم أقطاب اليقظة العربية ولم يكن إبراهيم سراج الدين إلا احد تلاميذ هؤلاء بناة الثقافة والفكر العربي الذي ساد تلك المرحلة والذي اغترف منه إبراهيم سراج الدين الكثير ومن خلال إطلاعي علي نشاط إبراهيم سراج الدين في هذه الفترة الزمنية الحرجة وجدته يتابع باهتمام المخططات الإمبريالية ضد الوطن العربي وفي مقدمة أقطاره تونس ومصر ففي مصر التي استكمل فيها وعيه القومي بتطوير ثقافته ونشر أفكاره عبر الصحافة الموجودة في مصر آنذاك ومنها جريدة الحجاز ثم جريدة الفسطاط التي كتب بها وتعاون مع صاحبها ومدير تحريرها عبد الغني المدني وخاصة في أتون الصراع ضد النفوذ البريطاني حيث فجر احمد عرابي الثورة العرابية بعد أن رأي النفوذ الإنجليزي ببلاده ولقد عبر إبراهيم سراج الدين عن انحيازه للدولة العثمانية ضد الإنجليز والفرنسيين ويأتي هذا في اهتمامه الذي ظهر في أحدى الصحف الإنجليزية في الهند ومفاده السخرية من فرمانات السلطان العثماني واللائحة التي أصدرها بشأن مطالبة الإنجليز بإجلاء سفنهم الحربية من المياه المصرية فقد عبرت صحيفة إنجليزية بقولها إن فرمان السلطان ولائحته لا محل لها إلا خزانة الدشت والأوراق القديمة (سلة المهملات).

وقد حصل إبراهيم سراج الدين علي هذه الجريدة الإنجليزية وجاء بها إلي مصر حيث عرضها علي عبد الغني صاحب امتياز جريدة الفسطاط التي تصدر في القاهرة ويقول عبد الغني المدني لقد أراد إبراهيم سراج الدين أن يسافر إلي الآستانة لكي يعرض تلك الجريدة علي الجهات المختصة في الآستانة. لكن عبد الغني المدني الذي أشار إلي ذلك في جريدة الفسطاط العدد (9) بتاريخ 1882/6/14 حيث قال لقد حاورت إبراهيم سراج الدين حول هذه الجريدة الإنجليزية وخبر الإهانة للدولة العلية وأقنعته بترك الأمر إذ لا فائدة من ذهابه إلي الآستانة لعرض ذلك الأمر الذي اعتبره إهانة للدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد الثاني.

لقد أوردت هذا الخبر للتأكيد علي إن إبراهيم سراج الدين وهو يعمل من اجل يقظة عربية لم يرض بإهانة السلطان العثماني وهذا إن دل علي شي فإنما يدل علي إخلاصه وتجرده وبعده عن الاتهامات التي وجهت إليه بأنه ضمن جماعة الفرمسيون (الجواسيس) كما جاء في صحيفة الاتهام ضمن ملف قضية إبراهيم سراج الدين عندما قبض عليه في طرابلس عام 1882 هو ومجموعة من الشباب العربي الليبي الذين كانوا نواة اليقظة العربية في طرابلس الغرب أنداك.

ثانيا: إن هذا الموضوع الذي اخترته يأتي ضمن قناعتي الشخصية من حيث كونه موضوعا شيقا ومفيدا للتاريخ لمرحلة مثيرة عاشتها طرابلس الغرب وإضافة جديدة لكتابة تاريخ ليبيا الحديث الذي لأزال خال من الكتابات التاريخية حول قضايا ومراحل واهتمامات تاريخية تستطيع أن تبرز الوجه الحقيقي لحركة اليقظة العربية في خلال تلك المرحلة التي ظهرت فيها أول جمعية ثقافية تستتر بالثقافة لكنها في الحقيقة بدأت تعمل من أجل نشر الوعي القومي وخاصة التصدي للأحداث القادمة التي أصبح فيها الغزو الأوروبي قادما لا محالة لهذه الولاية العربية طرابلس الغرب

خاصة بعد سقوط تونس ومصر وليقين إبراهيم سراج الدين ومند انضمامه إلي جمعية" القراء تخانة" بان الولاية العثمانية في طرابلس الغرب أصبحت عاجزة تعاني من التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وحتى العسكري لمواجهة خطر الغزو الأوروبي القادم.

لقد تمكن إبراهيم سراج الدين بحسه السياسي واستعداده الثقافي ووعيه القومي من أن يبني العلاقات الطيبة بل والصداقة الحميمة منذ أن وطأت قدماه ولاية طرابلس الغرب.

فبعد أقامته في مصر ولعبه الدور الهام في المجال الصحفي والثقافي والسياسي في ربوع مصر وبين منابرها السياسية التي كانت تديرها الحركة الوطنية المصرية آنذاك وانحيازه للثورة العرابية ضد الإنجليز لم يجد بدا من الفرار من مصر في بداية الغزو الإنجليزي لمصر حيث تمكن من الوصول إلي بنغازي التي استقر فيها وتعرف علي عميد بلديتها أحمد محمد المهدوي الذي أكرمه وسهل أقامته ووطد علاقته به ولاشك انه بحث معه قضية الغزو الأوروبي للولايات العربية وخاصة بعد احتلال الفرنسيين لتونس سنة1881 واحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م الأمر الذي أثار تخوفه من وصول المشروع الاستعماري لاحتلال طرابلس الغرب فيما بعد ثم وصوله إلي طرابلس وتعرفه علي الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب وعميد بلدية طرابلس احمد النائب وتوطيد العلاقة معهما والبدء في التفكير بالنهوض بأوضاع الولاية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكل ذلك يندرج ضمن اهتمامات إبراهيم سراج الدين في نشر الوعي القومي وبناء الأرضية التي تسهم في اليقظة العربية لكل المخططات الاستعمارية وخاصة عملية الغزو المرتقب.

إن التعريف بموضوع البحث يعتبر من أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في ولاية طرابلس الغرب أنداك وأكدت علي الروابط القومية التي تربط هذا القطر بأقطار الوطن العربي وتتفاعل مع الأحداث التي تطرأ فيه وتنجذب إليها في السراء والضراء.

ولقد وجدت نفسي متعلقا بهذا الموضوع وضرورة البحث فيه والتعمق في أحداثه التاريخية وما اكتنفه من الغموض في بعض الأحيان والتأكيد علي الانتماء القومي بين أبناء الأمة العربية خاصة في المراحل التي يتعرض فيها الوطن العربي إلي الخطر بالغزو و الاحتلال، وهذا ما جعل إبراهيم سراج الدين ومجموعة الشباب العربي الليبي الذين تفاعلوا معه وكونوا أول جمعية سرية كبداية للعمل القومي وتعميق جذوره والعمل علي نشره في ربوع الولاية آنداك بالاتصال المباشر وغير المباشر بأعيان البلاد و رؤساء القبائل ضمن إستراتيجية التنظيم القومي الذي يندرج ضمن أفاق اليقظة العربية التي كانت مخاضا لبدايات الخطر القادم وهو الغزو الأوروبي علاوة علي الإهمال والضعف الشديد الذي عانته الولاية في أواخر عهد الدولة العثمانية سواء في الجانب الإقتصادي أو الاجتماعي وحتى الثقافي.

لقد كون إبراهيم سراج الدين ومجموعته من العرب الليبيين الخلية الأولى لبدايات العمل القومي واتخذوا من تكوين الجمعية الثقافية ستارا لذلك بعد إن فقد العرب أي إصلاح في حال الدولة العلية و وجدوا أنفسهم قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في خطر الغزو الأوروبي وكان لابد من التحرك والتحريض والاستعداد وقد كان هذا واضحا حتى في مطالبة الوالي العثماني والمسئولين في الولاية للاهتمام بحالة الولاية والارتقاء بالعلم و المعرفة والأخذ بناصية التطور.

وكان لهذه الجمعية السرية المستترة تحت ستار الثقافة والمعرفة نظامها الأساسي وقانونها الإداري في تنظيم اجتماعاتها والاستفادة من كل عوامل المعرفة والتطور والتقدم في إطار بناء الذات العربية والتعامل مع ما يخبئه المستقبل في مرحلة جد خطيرة اتسمت بمشروع الاستعمار والاحتلال وضم البلاد العربية وهذا ما جعل الجمعية تؤسس نظاما للجناح العسكري الذي تطرق إلي ضرورة الاهتمام بالتدريب العسكري ودفع الأهالي للانخراط فيه وبناء الاستحكامات والرباطات للدفاع عن الولاية ورغم إن النظام العسكري كان ضمن اهتمامات الجمعية إلا إن المطالبة به جهر بها إبراهيم سراج الدين ويأتي ذلك في الإشارة إلي ضرورة الرفع من مستوى تدريب الجنود و عدم تركهم يتسكعون في الشوارع دون تدريب والاهتمام بأوضاعهم العسكرية والحياتية، وهناك فقرات من شواهد عديدة تثبت ذلك وربما كان ذلك واضحا في المحكمة أثناء جلساتها الأولى وفي جلسات أخرى من المحاكمة نجد إبراهيم سراج الدين يواصل العمل والتنظيم في إطار الوعي القومي داخل السجن حيث يلتقي ببعض المسجونين الليبيين ويتعرف عليهم ويواصل معهم العمل والاتصال بأهالي البلاد ويحرضهم علي الاهتمام بأحوالها والاستعداد لمواجهة الإخطار القادمة، فالتقى في السجن بيوسف الصيد وآخرون ثم ارتبط بعلاقة وطيدة مع المحامي محمد أبوربعية لنفس الغرض حيث يستغل المحامي ابوربعية توكليه للدفاع عن بعض المسجونين فيوطد العلاقة مع إبراهيم سراج الدين ويتبادل معه الصحف وبعض الرسائل في إطار تنمية التحرك القومي وتعبئة الرأي العام الشعبي بما يحرض علي مطالبة سلطات الولاية للاستعداد للدفاع عن البلاد وبناء المقاومة الشعبية التي تستطيع الوقوف أمام التدخل الأوروبي الذي كان ينبئ بالاحتلال أنداك.

ثالثا: لقد وجدت بعض التفسيرات الغير مقنعة لي عندما اطلعت علي ملف قضية إبراهيم سراج الدين ومجموعة من الشباب العربي الليبي حيث يتهم إبراهيم سراج الدين بأنه ضمن جواسيس الغرب الذي جاء لتمكين الأجانب من البلاد.

لقد استند هذا الاتهام إلي بعض الرسائل تقول السلطات العثمانية، أنها أعطيت لإبراهيم سراج الدين من طرف القنصل الإيطالي و الإنجليزي في بنغازي لتسليمها إلي القنصلين العامين الإيطالي والإنجليزي في طرابلس، يبدو أن هذا مجرد افتراء ذلك إن مداخلة الأجانب في مصر كانت أوسع مجالا لإبراهيم سراج الدين منها في ولاية طرابلس الغرب باعتباره عاش في مصر وتابع الخلفيات السياسية والمخاضات الفكرية التي كانت تتفاعل هناك، ثم إن إبراهيم سراج الدين لم يبق في بنغازي إلا أياما معدودة، ضيفا علي عميد بلديتها أحمد محمد المهدوي ثم تابع السفر إلي طرابلس وهي محط الرحال حيث نزل ضيفا علي الشيخ حمزة ظافر المدني الذي إرتبط بعلاقة مع عبد القادر والد إبراهيم سراج الدين في موسم الحج.

لذلك فانا أستبعد أن يكون إبراهيم سراج الدين ضمن مداخلة الأجانب و أرجح إن هذه الرسائل ملفقة والمقصود بها تلفيق التهم وتشويهه أمام الرأي العام في الولاية حتى لا يتفاعل الوعي القومي بين الشعب ويعمل علي تحقيق الذاتية العربية خاصة وان الغزو الأوروبي تمكن من تونس ومصر و عاشت ولاية طرابلس الغرب حالة من الفزع والخوف من أن يتقدم الفرنسيون إلي مداخل حدود الولاية بعد احتلالهم لتونس ناهيك عن حالة الارتباك والفوضى التي عاشتها الحدود الغربية للولاية خاصة عندما هاجرت القبائل التونسية إلي غرب الولاية واحتمت بالأهل في الولاية في محاولة للتفكير في استمرار الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي لتونس.

وهذا أقلق سلطات الولاية وجعلها تشدد من قبضتها علي الأهالي في الوقت الذي سكتت فيه على فرنسا واحتلالها لتونس كما حدث في الجزائر قبل ذلك ومن سوء حظ إبراهيم سراج الدين و مجموعة الشباب الذين انخرطوا في الجمعية السرية "القراء بخانة " أن تزامن نشاطهم في إذكاء الوعي القومي مع هذه الإحداث المؤلمة لذلك سارعت سلطات الولاية إلى البحث عن أية وثائق كاذبة وملفقة لكي تطمس بها هذا العمل الشعبي القومي فكان تأليف و كتابة تلك الرسائل المزورة التي كتبت في الحبسخانة (السجن) وحاولت سلطات الولاية تلفيقها وإسنادها بحجج واهية، ناهيك أن هناك بعض الموظفين في التحقيق والحبسخانه قادرون علي تزوير وتقليد الخطوط وهذا ما حصل بالنسبة لإبراهيم سراج الدين فقد حصلوا علي بعض الـرسائل التي كـــان قـــد كتـبهـا إلي أعيان الجهات النائبة في الولاية ضمن نشاط الجمعية السرية (القراء تخانة) وكذلك الخطبة التي كتبها إبراهيم سراج الدين و والتي خطب بها الشيخ بشير أمام جامع الناقة في طرابلس، من خلال ذلك تم تزوير الرسائل المغرضة التي تتهمه بالمداخلة مع الأجانب وخاصة القنصلين الإنجليزي والإيطالي، ثم إن الاتهام بالرسالتين المذكورتين وخاصة رسالة القنصل الإنجليزي يوجد بها تعبير يلعب علي التناقض بين الصراع الإنجليزي والفرنسي فقد جاء في نص هذه الرسالة المزورة والملفقة مايلي :-

"إني مظلوم من كل جهة ولا داء لي سوي دسائس الجمهورية الفرنساوية"



الفصل الأول

إبراهيم سراج الدين بين المشرق العربي ومغربه

* المبحث الأول :- أثر النشأة والترحال في بناء شخصيته.
* المبحث الثاني :- فرنسا وإبراهيم سراج الدين والوضع السياسي في شمال إفريقيا.

المبحث الأول

أثر النشأة والترحال في بناء شخصيته

مولده: هو إبراهيم عبد القادر سراج الدين ولد بالمدينة المنورة عام 1855 وشهرة الأسرة سراج الدين وهو معروف بهذا اللقب حيث يؤكد أن نصف سكان المدينة يعرفونه وهم من أقربائه كان والده عبد القادر سراج الدين يشتغل بالتجارة له أخ يدعي عبد العزيز سراج الدين وله من الأخوات سبع هن (فاطمة – أمنة –زبيدة - مكية – صالحة – عائشة – نفيسة) كانت أسرة سراج الدين تملك أربع بساتين يزرعون فيها وينتجون وكـانت الأسـرة تسكن في البستان المسمي النورية[1] في بيت يسمي حوش منصور بالمدينة المنورة.

نشأته وتعليمه :-

نشأ بالمدينة المنورة وعندما شب عن الطوق التحق بكتاب القرية بالمدينة المنورة حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القران الكريم حتى إذا ما تقدم في التعليم انتقل إلي المسجد النبوي ليتتلمذ علي فقهائه المشهورين ومن بينهم الشيخ الجليل براءة ومن زملائه في حلقات الدرس أحمد البرنجي(2) وعندما أكمل تعليمه بالمدينة المنورة نزل إلي مكة المكرمة فتتلمذ علي فقهاء البيت الحرام آنذاك فتوسع في العلوم الشرعية وفقه اللغة العربية وعلم المنطق والفلسفة علي يد الشيخ إسماعيل

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات التاريخية السراي الحمراء طرابلس.

(2)- نفس المصدر.

بن الملانواب ومن خلال شغفه بالعلم والمعرفة اتجه إبراهيم سراج الدين للتجارة بالكتب فاشتري الكتب وبدأ التخطيط لعملية المتاجرة بها وبحث عن البلاد التي تروج فيها مثل هذه التجارة ويظهر أن الجزيرة العربية ومكة المكرمة بالذات كانت تربطها علاقات متينة ووثيقة بالهند وهذا يتأكد من التواصل والحركة التجارية بين مكة المكرمة والهند ويبدو أيضا أن إبراهيم سراج الدين أخذ فكرة كاملة عن بلاد الهند من بعض التجار وخاصة الذين يتاجرون في بيع الكتب فأراد أن يحـذو حذوهم فكانت أولـي رحلاته إلي بلاد الهند حيث كانت محطته الأولى مدينة بومباي (1) ثم مدينة الله أباد وغيرهما من المدن ذات العلاقة بالحركة الثقافية فباع الكتب التي جاء بها من المدينة المنورة ومكة المكرمة واشتري كتبا أخري ثم عاد أدراجه إلي مكة المكرمة والمدينة المنورة وكرر العودة إلي الهند فربح في هذه التجارة واكتسب الخبرة خلال تردده علي تلك الأصقاع فتوسعت دائرة علاقاته الثقافية والمعرفية حيث تعرف علي شخصيات معتبرة في المجتمع وصارت عنده ملكة الاجتماع فاطلع علي الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي مكنته من التعرف علي أحوال المسلمين وما يعانونه من ضيق واستعمار بريطاني في السيطرة علي الاقتصاد والسياسية ونهب خيرات بلاد المسلمين وهذا دفعه للتفكير ملياً في أحوال المسلمين والإحساس بضعفهم والتخلف الذي كان يخيم عليهم وضرورة القيام بالدعوة للإصلاح والأخذ بأسباب العلم والتطور وإشراك المسلمين في أدارة شؤونهم كل ذلك كان حصيلة تجواله في بلاد الهند ثم إقامته في الجزائر لمدة (5) سنوات كانت ضمن برنامجه الإصلاحي لحال المسلمين ثم كانت المحطة الثالثة(2) للمتاجرة بالكتب

(1)- نفس المصدر.

(2)- اللورد كرومر- الثورة العربية الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة 1958 ف ص24-25.

مصر فيتردد عليها إ إبراهيم سراج الدين بين المدة و الأخرى وحجز من مكتباتها مختلف العناوين التي كانت تصدر فأصبح في هذه التجارة وكأنه مركزاً ثقافياً متنقلا فأزداد اطلاعاً وتوسعت معلومته وازدادت خبرته في هذه التجارة وحصل منها علي الربح المناسب فأهله ذلك إلي اتخاذ مصر محطة مركزية للتزود منها بالكتب لبيعها في البلاد العربية الأخرى وفي ظل ذلك عايش الازدهار الثقافي والحراك السياسي الذي فرضته طبيعة تطورات الأحداث في مصر أنداك فالتدخل الغربي البريطاني امتد إلي كافة مناطق الحياة السياسة والاقتصادية في ظل نظام حكم الخديوي إسماعيل ثم ابنه الخديوي توفيق وتوسع ذلك التدخل حني فرض لجنة مالية بريطانية فرنسية للأشراف والمتابعة لمالية مصر ودخلها الوطني (1) ناهيك عن حضور الممثلين الانجليزي والفرنسي لجلسات الجمعية الوطنية المصرية وحضورهما أيضاً لاجتماعات رئاسة الوزراء وهذا يعتبره تدخلا في شؤون مصر الداخلية وسيادتها بالمفهوم الذي كان متفق عليه آنذاك لكن الحركة الوطنية المصرية ترد علي هذا التدخل بتحرك شعبي للحد منه فتبدأ عملية الإصلاح في مصر فكان إبراهيم سراج الدين متضامنا وداعما لنشاط الحركة الوطنية المصرية وفي اتون توسع عملية الإصلاح والدعوة إلي التغيير والتطوير في مصر خرج إبراهيم سراج الدين مستفيدا من دعوات المصلحين السابقين فتأثر بدعواتهم فبدأ العمل الوطني من خلال الصحافة كمنبر للدعوة والنهوض بالأمة العربية وكانت الحركة المصرية قد وصلت إلي أوج نضالاتها من أجل انقاد مصر من الفساد الذي استشرى بوجود نظام حكم تابع للتاج البريطاني وضمن سياسة التقاسم لوظيفي مع فرنسا وتدخل القناصل في الشأن المصري فانجلترا عملت علي حماية مصالحها في الشرق العربي وفي مستعمراتها بالهند وجنوب

---

(1)- نفس المصدر.

شـــرق آسيا – وفرنسا ادعت بأنها تعمل علي التحديث والتطور والأخذ بأسباب التقدم في مصر والشرق العربي في هذا الخضم من الصراع بين الحركة الوطنية المصرية وتآمر الدوليتين الاستعماريتين البريطانية والفرنسية قامت الصحف المصرية مثل المفيد والبرهان والمؤيد والبصير وكوكب الشرق وغيرها من الصحف وصعدت من حملاتها الإعلامية ضد المخططات البريطانية والفرنسية رافعة لواء الدفاع عـــن حقوق الشعب المصري في الحرية والاستقلال والتخلص من النفوذ الأجنبي الذي صار يهيمن علي مقدرات الشعب المصري فضاقت فرنسا درعاً بذلك النشاط الصحفي الذي شنته تلك الصحف وخاصة تناولها للأوضاع السياسية والاقتصادية في الجزائر ودعمها ومناصرتها لانتفاضات الشعب الجزائري ضد الهيمنة الفرنسية وعلى رأسها ثـورة محمد أبو عمامة الذي قاتـل الاستعمار الفرنسي واضطره الحال إلي اللجوء إلي سلطان المغرب وعندما طالبت فرنسا بتسليمه كتبت الصحافة المصرية مقالات ناشدت سلطان المغرب طالبة بعدم تسليم المناضل محمد أبوعمامه(1) إلي سلطات الاستعمار الفرنسي ولئن كان إبراهيم سراج الدين قد بدأ نشاطه النضالي في المشرق العربي بدءً من المدينة المنورة ومكة المكرمة ثم مصر فإن الحصيلة الثقافية المشرقية التي اكتسبها تحرك بها نحو المغرب العربي الذي كان حاله لايختلف عن حال المشرق العربي من حيث إعداد المشاريع الاستعمارية وفرض السيطرة الأجنبية الفرنسية والانجليزية وان كانت جذور النضال في المشرق العربي سبقت هبات ونضالات المغرب العربي وهذا يرجع إلي أسباب سياسية واقتصادية وثقافية لذلك نراه يتحرك نحو المغرب العربي فكانت المحطة الثانية لرحلات إبراهيم

---

(1)- أحمد صدقي الدجاني – بدايات النهضة والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1977 ص56-57.

سراج الدين (1) الجزائر التي يبدو انه كان يختزن أحساسا تضامنيا مع نضال شعب الجزائر وكرها للاستعمار الفرنسي البغيض الذي احتل الجزائر وأراد مسخ التراث الإسلامي وشطب الحقوق العربية في المغرب العربي فيدخل الجزائر تحت شعار بيع الكتب والاهتمام بالثقافة العامة فيكتري دكاناً في قسنطينة(2) برواج تجارة الكتب أصبحت له دكاكين وصار له وكلاء يعملون في تلك الدكاكين لبيع الكتب وباشر إبراهيم سراج الدين ترغيب المواطنين الجزائريين في مطالعة الجرائد واقتناء الكتب وقراءتها وجاء في أحدي رواياته انه حرص علي نشر المعرفة والثقافة بين أوساط الشعب الجزائري ولو كلفه ذلك من ماله الخاص وهذا يندرج ضمن حرص إبراهيم سراج الدين للحفاظ علي هويـة الشعب الجزائري العربية والتمسك بالإسلام(3) وتحرك في إطار نشر الوعي القومي بعد أن توطدت العلاقة بينه وبين أهل الجزائر فتعرَّف علي أسرة جزائرية وتمت المصاهرة وتـزوج مـن جزائرية فكان أيدانا بطول إقامته فـي الجزائر التي استمرت خمس سنوات تمكن خلالها من توثيق العلاقة مع من عرفهم من شخصيات وأعيان ووجهاء الجزائر خاصة المثقفين منهم وأكد إبراهيم سراج الدين ذلك من خلال تسلمه لأكثر من خمسة الآلف خطاب من جميع أنحاء الجزائر معربة عن فضله في نشر المعرفة والثقافة بين أوساط الشعب الجزائري ويظهر أن هذا النشاط أثار حفيظة السلطات الفرنسية في الجزائر التي كانت تتابع نشاطه حتى إذا ما عرفت أنه صار يشكل خطراً علي مشروع الاستعمار في الجزائر أمرت الجند رمة لقفل دكاكينه ويبدو أن إبراهيم سراج الدين كان يقضا لذلك

---

(1)- الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882- 1911 ص 356- 359.

(2)- نفس المرجع السابق.

(3)- نفس المرجع السابق.

فسارع إلي إفراغ وتوزيع كل الكتب التي كانت في دكاكينه في قسنطينة والجزائر فلم تجد الجندرمة الفرنسية إلا أمتعته الخاصة وبعض الحاجيات الأخرى وأرادت السلطات الفرنسية اعتقاله لكن شفاعة وشهادة مائة شخص من الجزائريين الذين كانت تربطهم به علاقة وثيقة شهدت له بحسن السلوك وطيب المعاملة.

رغم ذلك أجرت السلطات الفرنسية تحقيقاً مطولاً مع إبراهيم سراج الدين جاء في احدي فقراته أنه رسول من طرف البرنس دوبسمارك جاء ألي الجزائر ليستثير رؤوس العرب لبعض الأمور(1) ويظهر أن السلطات الفرنسية في الجزائر أكتفت بطرد إبراهيم سراج الدين من الجزائر فكتبت علي جواز سفره يمنع من دخول الجزائر وتونس ومملكة مراكش.

((يقول إبراهيم سراج الدين لولا وقوف بعض الأفاضل من أهل الجزائر الذين ربطتني بهم علاقة قوية لهلكت)).

خلال إقامة إبراهيم سراج الدين لمدة خمس سنوات في الجزائر وزواجه من الجزائرية أنجبت له طفلا أراد وهو يستعد للرحيل أن تصاحبه زوجته لكن والد الزوجة رفض إن تغادر ابنته الجزائر وبذلك حرم من أبنه ولاشك أن ذلك كان له وقع شديد في نفسه ولا يفوتني أن اذكر هنا أن إقامة إبراهيم سراج الدين بالجزائر كانت علي ارتباط بالتردد علي تونس حيث نزل فيها للمرة الأول ضيفاً علي الشيخ بشير ظافر المدني الذي رفض إن يقيم إبراهيم سراج الدين عند غيره لذلك أقام عنده عدة أيام ثم استأذن من الشيخ بشير ظافر ليقيم بحجرة بمدرسة الشماعين

---

(1)- الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882- 1911 ص358.

(2)- الدجاني – بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ص43.

ولما كانت مدرسة الشماعين تحت مسؤولية ونضارة الباش مفتي أحمد خوجه لذلك قصده إبراهيم سراج الدين واستأذن في الإقامة بحجرة بالمدرسة المذكورة وبعد إن تم التعارف بين إبراهيم سراج الدين والمفتي المذكور رفض الأخير أن ينزل إبراهيم سراج الدين في حجرة مدرسة الشماعين ورحب بإبراهيم ضيفاً في بيته واتخذ تلك الحجرة مخزنا للكتب التي أتي بها إلي تونس وصار كلما زار تونس ينزل ضيفاً ببيت المفتي أحمد بن خوجه(1).

خلال إقامة إبراهيم سراج الدين في تونس كان الحجازيون يأتون إلي تونس للحصول علي إكرام الأهالي التونسيين ويخصص لكل حجازي ريال تونسي واحد في اليوم وعندما علم الحجازيون بأن إبراهيم سراج الدين من أهل الحجاز تقاطروا عليه يلتمسون أهل الخير لإكرامهم والإنعام عليهم وكان بين أولئك الحجازيين عبد القادر المكي الذي كان يتردد علي طرابلس وتونس فشك فيه إبراهيم سراج الدين بأنه عميل لفرنسا.

لقد توطدت العلاقة بين إبراهيم سراج الدين ومفتي تونس أحمد بن خوجه لذلك صار يزوده بأخبار الجزائر وعندما سمع بقرب دخول الفرنسيين إلي تونس أسر للمفتي قائلاً :- سأسافر ولا أريد البقاء في تونس حتى لا يتهمونك بأن لك علاقة معي وكانت لإبراهيم سراج الدين بعض الديون من بيع الكتب في تونس فحصل عليها وقضي بعض المصالح وكان ذلك في حادث جبل خمير حيث كانت جيوش فرنسا محتشدة علي الحدود الجزائرية التونسية وكانت الأحوال مضطربة جدا وأخبار

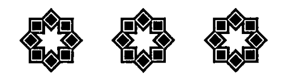
(1)-الدجاني – بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

الأجانب تداع بما لا يفرح الدولة العثمانية فقد روجت إشاعة بخلع الباي وتعيين صاحب الدولة خير الدين باشا(1).

لقد أعجب المفتي أحمد خوجة بإبراهيم سراج الدين أيَما إعجاب ويظهر أن ذلك اتضح للمفتي من خلال مجالسته إبراهيم سراج الدين وتبادله شتي أنواع الحوار معه وخاصة الحرص علي عروبة تونس وإسلامها وضرورة الحفاظ عليها وبذل أقصي التضحيات في سبيل ذلك فكان حديث المفتي تعظيما وتشريفاً لإبراهيم سراج الدين ودوره في تعميق الوعي القومي للحفاظ علي الهوية العربية الإسلامية حتى أنه قال في شخصه(2) ذات يوم (إن كلامه يشبه الوجه الجميل كلما شوهد زاد بهاءً).

أن هذا القول إن دل علي شئ فإنما يدل علي سحر شخصية إبراهيم سراج الدين وخلقه ونبله وكفاءته الثقافية وحسن مجالسته ومعاشرته وهذه لعمري صفات حميدة استطاع إن يوظفها في استقطاب المزيد من المريدين له.

تلك كانت رحلات إبراهيم سراج الدين وما تركته في شخصيته من أثر تفاعل مع قضايا الأمة والإحساس بالمعاناة تحت وطأة التخلف ثم مشروع الهيمنة الأوربية علي بلدان العروبة والإسلام.



---

(1)- نفس المرجع السابق ص20-21.

(2)- نفس المرجع السابق.

المبحث الثاني

فرنسا وإبراهيم سراج الدين والوضع السياسي في الشمال الأفريقي في القرن التاسع عشر

معادلتان متعاكستان – فرنسا وإبراهيم سراج الدين

ففرنسا دولة كبري في القرن التاسع عشر استطاعت أن تحتل الجزائر عام 1830 بعد حادث المذبة المشهور التي صفع بها الداي حسين أمير الجزائر القنصل الفرنسي عندما تجاوز حدود اللياقة والدبلوماسية وتدخل بعنجهية لدفع الديون لبعض اليهود علي الدولة الجزائرية فاعتبرت فرنسا ذلك الحادث إهانة كبري لها وسرعان ما جمعت عسكرها في بوارجها الحربية وزحفت علي الجزائر في عملية غزو استعمارية كانت ضمن مخطط الدولة الفرنسية لاحتلال شمال أفريقا وضمه إلي المستعمرات الفرنسية في غرب ووسط القارة الأفريقية.

لقد رأي إبراهيم سراج الدين أن المخطط الاستعماري الفرنسي يعمل علي فرنسة الجزائر لذلك استقر بالجزائر[1] وبدأ العمل لتنمية الوعي الوطني القومي والحفاظ علي الهوية العربية والإسلامية لشعب الجزائر فتفاعل معه خلق كثير من أبناء الجزائر وصار له من خلال تلك اللقاءات التي كان ينظمها ويحث فيها أهل الجزائر بأن يتحدوا لان المشروع الاستعماري الفرنسي سيمتد إلي تونس فيما بعد فحرص للتعرف علي الشخصيات التونسية المعتبرة ويتم الحديث في أوضاع شمال أفريقيا

---

(1)- الدجاني – بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى 1977 ص42-43.

الذي يضم بلدانا عربية أسلامية يجب الحرص علي استقلالها وعدم ضمها للتبعية الاستعمارية [1].

لقد حاربت فرنسا إبراهيم سراج الدين في الجزائر وتابعت نشاطاته وإتهمته بأنه جاسوس لألمانيا بالنظر للعداء المستحكم الذي كان بين فرنسا وألمانيا و ما تخلله من حروب ومواجهات وأخرها حرب السبعين 1870 وهزيمة فرنسا المنكرة وكانت الخطة الألمانية تستهدف إشغال فرنسا بالاستعمار والتوسع في أفريقيا لتتمكن ألمانيا من التوسع في أوروبا وتكون سيدة أوروبا فيما بعد خاصة بعد مؤتمر برلين الذي عقد في 23 فبراير 1885[2].

بنفس الدور النضالي الذي قام به إبراهيم سراج الدين تحت شعار المتاجرة في الكتب إنبري الاهتمام بأوضاع تونس فيلتقي مع صفوة الشخصيات التونسية وفي مقدمتهم أحمد خوجه مفتي تونس ويضعهم في صورة توقعات الأحداث التي قد تطال تونس وهو زحف فرنسا علي تونس لتأمين وجودها في الجزائر.

وقد نجحت فرنسا في إبعاد إبراهيم سراج الدين من الجزائر وتونس وحرمت عليه دخولها الأمر الذي أضطره للعودة إلي مصر بحراً عن طريق مالطا فاستراح مدة في الإسكندرية تم استقر في القاهرة فبدأ في نشاط جديد لتحقيق الوعي القومي حيث جنح إلي أسلوب جديد لمواجهة المخططات الاستعمارية للدولتين البريطانية والفرنسية في مصر وكان ذلك عن طريق النشاط الصحفي الذي بدأه إبراهيم سراج الدين بمراقبة الأحداث وتطوراتها في مصر فالتقي ببعض الشخصيات في الحركة الوطنية المصرية ووضع من وثق فيهم في صورة الأحداث التي مرت بالجزائر وتونس

---

(1)- نفس المرجع السابق.

(2)- الدجاني– بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى 1977 ص42-34.

وأكد لتلك الشخصيات بأن تونس قاب قوسين أو أدني من السقوط في إيدي الفرنسيين الذين بدءوا بإعداد العدة لغزوها وذلك ما حدث فعلا فقد افتعلت فرنسا حادث جبل خمير لغزو تونس فتم الحوار بين إبراهيم سراج الدين والحركة الوطنية المصرية التي بدورها وضعته في صورة تطورات الإحداث في مصر خاصة وأن الثورة العرابية قد وصلت إلي قناعة بأن الخديوي توفيق أصبح ضعيفاً يأتمر بأمر اللجان الاستشارية الفرنسية والانجليزية والوضع العام يتجه نحو التصعيد باتجاه غزو مصر[1].

في هذا الخضم من الأحداث التي كانت تعصف بمصر اندمج إبراهيم سراج الدين في العمل مع الحركة الوطنية المصرية فشارك في لقاءاتها وعبأ الشعور الوطني للحفاظ علي استقلال مصر وساهم بجدية في نشاطات الحركة الوطنية المصرية فأصدر جريدة الحجاز التي أصبحت لسان حال الحركة في مصر وصارت تكتب مقالات عن الجزائر وتعري الاستعمار الفرنسي وممارساته العدوانية وتعرج علي الأوضاع في تونس فتشحذ هِمَم التونسيين ليتكاثفوا ضد المشروع الفرنسي وتدعم نشاط الثوار الجزائريين وكل المعارك التي يخوضونها ضد فلول العسكر الفرنسي وتناول في جريدته الحجاز موضوع الاتفاق الأوروبي لاستعمار المغرب العربي وحذر المسلمين وخاصة المصريين من حدوث هذا الاتفاق وحرضهم علي تتبع تحركات الفرنسيين وعندما اطلع الفرنسيون علي هذا المقال هاجوا وماجوا واتصلوا بالمسئولين المصرين وضغطوا عليهم من خلال قناصلهم لإصدار الأمر بإغلاق جريدة الحجاز وكان في مقدمتهم القنصل الفرنسي في القاهرة المسيو غامبيتا[2].

---

(1)- لورد كرومر الثورة العربية ترجمة عبد العزيز عرابي الشركة العربية للطباعة ونشر والتوزيع الطبعة الأولي أكتوبر 1958 ص177.

(2)- وقائع محكمة إبراهيم سراج الدين ورفاقه، دار المحفوظات أرشيف السراي الحمراء طرابلس.

إن هذا الدور الذي قام به إبراهيم سراج الدين ضد فرنسا من خلال الكتابة في جريدة الحجاز ثم الفسطاط فيما بعد كان تضامناً مع حركة الوعي القومي باعتباره صاحب فكر و جريدة ومراسلين.

لذلك وجدنا المسيو غامبيتا سارع إلي الاتصال بالمطبوعات المصرية وطلب قفل جريدة الحجاز باعتبارها ذات موقف مضاد لفرنسا تقوم بتهيج الأهالي ضد حكومة فرنسا بل إنها تسعي بهذا النشاط الصحفي لتكريه العرب في المشرق لفرنسا وكان لغامبيتا القنصل الفرنسي في القاهرة ما أراد حيث صدرت الأوامر بقفل جريدة الحجاز[1] وعندما قفلت جريدة الحجاز هذه اعتبرت جريدة اللومندَ الدنياَ ذلك نصراً لها وهللت لذلك في مقالات عدة متشفية في إبراهيم سـراج الـديـن وجريدته وهكذا أصبح إبراهيم سراج الدين بدون منبرا علامي لمواصلة العمـل لإيقاظ الوعي القومي وحاولت الحكومة المصرية تعويضه عن ذلك بالعمل في وزارة المعارف المصرية براتب قدرُهُ 15 جنيهاً لكنه اتجه إلي طبع جريدة الفسطاط بمطبعته وصار يكتب فيها مواصلاً نشاطه في فضح حركة الاستعمار الفرنسي والانجليزي[2] وتعاون معه في ذلك عبد الغني المدني صاحب جريدة الفسطاط واستفاد عبد الغني المدني من خبرة إبراهيم سراج الدين الصحفية وجعل جريدته هذه منبراً لأيقاظ الوعي القومي ومعايشة الأحداث التي تتوالي علي مصر والجزائر وتونس والتصدي للمخططات الثنائية التي تعمل علي تنفيذها فرنسا وانجلترا في المشرق والمغرب العربي كل ذلك أستثمره إبراهيم سراج الدين وشن حملات صحفية فاضحا التدخل

---

(1)- لورد كرومر – الثورة العرابية / مصدر سابق ص92.

(2)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للنشر الطبعة الأولى 1977 ص20.

في شؤون مصر الداخلية ومحرضاً الحركة الوطنية المصرية بأن ترتقي إلي مسؤولية الأحداث دفاعاً عن استقلال مصر.

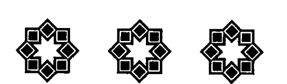
مرة أخري عاود القنصل الفرنسي تدخله فيما تكتب الصحافة المصرية حول فضح المخطط الاستعماري الفرنسي الانجليزي فسعي لدي سلطة الخديوي توفيق وطالبه بقفل جريدة الفسطاط التي نهجت نهج جريدة الحجاز و اعتبرت ذلك تحريضاً ضد مصالح الدولتين الفرنسية والانجليزية في مصر ونجح في قفل جريدة الفسطاط باعتبارها انحازت إلي نشاط الحركة الوطنية المصرية وصارت لسان حالها مفسحة المجال لإبراهيم سراج الدين ليتخذها منبراً لنشاطه في تجذير الوعي القومي لدي الشارع المصري ودعم الحركة العرابية التي يقودها احمد عرابي لمواجهة التدخل الفرنسي الانجليزي في شؤون الدولة المصرية [1] في هذه الأثناء وعبر تطورات الإحداث في مصر والشمال الأفريقي أزداد الموقف تقييداً ضد إبراهيم سراج الدين خاصة عندما أصبح القنصل الفرنسي السابق غامبيتا وزيرا للخارجية الفرنسية فأصبح شغله الشاغل هو متابعة نشاط إبراهيم سراج الدين وكل من تعاون معه من أعضاء الحركة الوطنية المصرية وصار الضغط يأخذ شكل التصفية والتحريض علي إبعاد كل من تعاون مع الحركة الوطنية المصرية آو سعي للتشويش علي المشروع الفرنسي الانجليزي في تسيير أمور الإدارة المصرية وصار التنسيق يكاد يكون كاملاً بين وزيري خارجية فرنسا وانجلترا في الشأن المصري والعمل علي إلحاق مصر بالتبعية الفرنسية والانجليزية ضمن التنسيق في تقاسم الأدوار والاحتلال[2] فسكتت فسكتت انجلترا علي الاستعمار الفرنسي لتونس ومد نفوذها في السودان الغربي

---

(1)- عبد الغني المدني جريدة الفسطاط العددان 7-9 يونيو 1881 مطبعة الحجازي ص.

(2)- لورد كرومر الثورة العرابية ص 125، 126، 127.

والاقتراب من غدامس وغات للسيطرة علي طرق تجارة القوافل عبر الصحراء وصولا إلي وسط أفريقيا في تشاد والنيجر والسنغال بل والعمل علي تحويل طرق التجارة إلي الموانئ الجزائرية والتونسية باعتبارها ضمن نفوذ فرنسا بما في ذلك المناطق الغربية الجنوبية في ولاية طرابلس الغرب تم تقوم انجلترا باحتلال مصر متذرعة بالطوابي والاستحكامات التي بناها احمد عرابي عندما وصل إلي قناعة بان الاحتلال والغزو واقع لامحا له وما هي إلا شهور معددوة حتى وقع الهجوم علي الإسكندرية فضربت تلك الاستحكامات والطوابي التي أقامها احمد عرابي وأمام القوة الانجليزية الضاربة تسقط الإسكندرية وتتقدم القوات الانجليزية ونظرا للفارق الكبير في العتاد والعدة يهزم الجيش المصري ويقبض علي احمد عرابي وينفي في جزيرة سيلان عقب الغزو مباشرة في يوليو 1882[1]. قبل أن يحدث الغزو الانجليزي لمصر شعر إبراهيم سراج الدين بان وجوده في مصر ماعاد ممكنا ولاشك أنه سيكون ضمن الأشخاص الغير مرغوب في وجودهم في مصر فبحث عن ملاذ جديد فكانت وجهته طرابلس الغرب.



(1)- نفس المرجع السابق ص 198.

الفصل الثاني

"ســراج الــديــن فـي ولايــة طــرابــلــس الــغــرب"

* **المبحث الأول:-** الأوضاع السياسية في ولاية طرابلس الغرب في أواخر القرن التاسع عشر.
* **المبحث الثاني:-** أهم الإحداث السياسية في عهد أحمد راسم باشا.
* **المبحث الثالث:-** الإصلاحات العثمانية في عهد الوالي أحمد راسم باشا.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية في ولاية طرابلس الغرب في أواخر القرن التاسع عشر

كانت الأوضاع السياسية في ولاية طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر سيئة جداً حيث الاضطهاد والاستغلال والابتزاز للشعب من طرف أولئك الولاة وساعدهم علي ذلك ضعف الدولة العثمانية خلال عهد عبد الحميد الثاني وتخوف السلطة من انفلات زمام الأمور في الولاية من يدها لذلك طبق الولاة العثمانيون المتعاقبون علي حكم ولاية طرابلس الغرب أسلوب الاستبداد[1] ومعاملة الأهالي معاملة قاسية جداً بالنظر ألي حالة الاضطراب التي عاشتها الولاية في تلك الفترة العـصيبة والتي فرضتها عملية الغزو الأوروبي لتونس في مايو 1881 ثم مصر[2] في يوليو 1882 وانعكست هذه الأحداث الخطرة في شرق ولاية طرابلس الغرب وغربها علي الأهالي الذين أحسوا أن الخطر أصبح قاب قوسين أو أدني من الحدود الغربية للولاية وكانت هجرة القبائل التونسية بالآلاف وفي مقدمتهم قبائل ورغمة وبني يعقوب وبني يزيد وجلاَّص حيث دخلت هذه القبائل التونسية المناطق الغربية من الولاية يخالجهم أحساس بأن السلطة العثمانية قد تخلت عنهم ولم تقف في وجه الغزو الفرنسي الأمر الذي دفع أهالي ولاية طرابلس الغرب لأن يتضامنوا مع هذه القبائل التونسية في مصابهم الجلل فيقدمون لهم المساعدات العاجلة وتحت ضغط

---

(1)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي 1882 -1911 ص 59.

(2)- نفس المرجع ص 61.

الرأي العام الشعبي في الولاية تعامل الوالي محمد نظيف بشيء من المواساة لحال تلك القبائل فوزع عليهم بعض المساعدات وأقيمت لهم المخيمات وحاول دمجهم في مجتمع الولاية.

لقد أقامت تلك القبائل بالقرب من الحدود الغربية للولاية لكن فرنسا رأت في بقاء هذه القبائل التونسية قرب الحدود الغربية وجوداً يمكن أن يشجع القبائل لتفجير المقاومة ضد القوات الفرنسية في تونس وكان للقنصل الفرنسي شارل فيرو والمتخصص في الشؤون الإفريقية يد طولى في تبني سياسة إبعاد القبائل التونسية إلي منطقة سرت[1] شرق الولاية لكي تكون تحت الرقابة العثمانية ولا تستطيع الدخول إلي الحدود التونسية لكن أهالي الولاية تضافروا مع زعماء القبائل التونسية وعرضوا علي السلطنة العثمانية في طرابلس ضرورة تسليح هذه القبائل لتقاوم الاحتلال الفرنسي، ولكن أنيّ للسلطنة العثمانية أن تقوم بذلك وهي في حالة ضعف تام، فحاولت بقدر الإمكان امتصاص غضب فرنسا وعبرت عن ذلك بإرسال أحمد النائب شيخ البلد أو عميد بلدية طرابلس ليطالب فرنسا عدم التصعيد للموقف والسماح للقبائل التونسية بالعودة إلي تونس[2].

عبثاً حاولت القبائل التونسية الحصول علي دعم وإسناد لمواصلة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الذي سيطر على المنطقة الغربية وحصنها بحراسات شديدة، وأمام تراخي الدولة العثمانية وسلبية والي الولاية في شأن التضامن مع هذه القبائل لذا إضطر زعماء هذه القبائل إلى إيجاد حلول مع فرنسا فخضعت للأمر الواقع لتعود فيما بعد إلي مناطقها في تونس دون الإخلال بالنظام أو القيام بأي عمل مضاد

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

(2)- أدهم / الدجاني – وثائق ليبيا " الوثائق العثمانية 1881-1911 وثيقة رقم 1 ص13.

لفرنسا داخل تونس، كل تلك المعطيات جعلت الوجود الفرنسي في تونس واقعاً فرض نفسه وأوجب قبوله والتعايش معه.

لقد كان عام 1881 عاماً كئيباً علي أوضاع الولاية فإلي جانب احتلال تونس وما شكله من مضاعفات علي حكومة ولاية طرابلس الغرب القي الجدب بثقله علي أهالي هذه الولاية وأصبحت الحالة الاقتصادية والمعيشية ضنكة جداً بل وقاسية فقد انتشر الجوع وتكاثر عدد المتسولين وفتك الجوع بكثير من الأسر الأمر الذي دفع حكومة الولاية إلي التفكير ملياً للإسراع بنجده أهالي الولاية وتمثل ذلك في إرسال سفينة محملة بالدقيق لتخفيف وطأة المجاعة وتم توزيع أكياس الدقيق علي القبائل التي كانت نصيبها من المجاعة النصيب الأوفر ويسمي ذلك العام بعام الدقيق وصار يؤرخ به فيما بعد[1].

لقد أختل الأمن في ربوع ولاية طرابلس الغرب في ذلك العام بسبب تلك الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي مرت علي أهالي الولاية إضافة إلي سوء وفساد الإدارة حيث وقعت سرقات كثيرة وانتشرت حوادث السلب كنتيجة لتلك الظروف الصعبة التي مرت بها ولاية طرابلس الغرب ([1]) الأمر الذي حرك قناصل الدول الأوربية مثل:- فرنسا – بريطانيا – ايطاليا – هولندا – النمسا – وبلجيكا – وأسبانيا – وكذلك أمريكا فقدموا احتجاجا إلي حكومة ولاية طرابلس الغرب[2] بسبب تدهور حالة الأمن العام في طرابلس وجاء في الوثيقة التي قدمها القناصل المشار إليهم بتاريخ 4 مايو 1881 تضمنت تلك الوثيقة اقتراحات من شانها تقوية

---

(1)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي (1882 -1911) ص 60 -65 .

(2)- أدهم / الدجاني – وثائق ليبيا " الوثائق العثمانية 1881-1911 وثيقة رقم 1 ص13.

القانون لتثبيت النظام في طـرابلس لكي يقضي علي حوادث السرقة التي تكررت أخيراً ومن هذه الاقتراحات :-

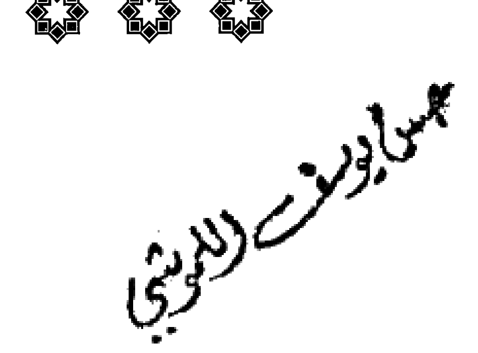
1- إزالة الفاسد في جهاز البوليس.

2- الانتظام في دفع رواتب أفراد البوليس.

3- تسجيل زوار الفنادق ([1]).

تلك هي الظروف التي عاشتها ولاية طرابلس الغرب في نهاية ولاية محمد نظيف ويبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني قد أخذ بعين الاعتبار تلك الظروف الصعبة التي عاشتها الولاية وما ترتب عنها من سلبيات عندما أختار أحمد راسم والياً علي طرابلس الغرب. صاحب المدة الطويلة حيث صدر فرمان توليته في 21 – من ذي القعدة 1298 هـ الموافق أواخر 1881م – وأحمد راسم هذا هو أحد وزراء السلطنة المشهورين بالسياسة والقيادة وكان سجل خدماته حافلاً بالضبط للإدارة وصرامة الموقف[1].

❖ ❖ ❖



(1)- نفس المصدر السابق.

المبحث الثاني

أهم الإحداث السياسية في عهد أحمد راسم

عند الحديث عن أهم الأحداث السياسية في عهد أحمد راسم لابد لنا من أعطاه نبذه عن هذا الوالي الذي تميز عن غيره من الولاة السابقين من حيث حنكة الإدارة وطول المدة والتعامل مع الأحداث التي استجدت في عهد ولايته[1].

ولد أحمد راسم باشا في اسطنبول عام 1825 وتلقي تعليمه الابتدائي والعالي في أثينا باليونان فأتقن اللغات اليونانية والايطالية والفرنسية وتقلد أول وظيفة له لدي الباب العالي "رئاسة الوزراء" بقسم الترجمة عام 1844 ثم أنتقل إلي وزارة الخارجية وساهم في حل كثير من القضايا السياسية في سالونيك ومناستر وجزيرة سيام وفي عام 1863 عين متصرفاً فوق العادة في (طولجي تم في وادين بولايات البلقان وفي عام 1867 عين والياً في بانين ثم في عام 1872 عين بولاية طرابزون ثم نقل بعد عام إلي اشقوردة بألبانيا تم والياء لولاية ديار بكر ثم رجع إلي اسطنبول حيث عين مديراً للجنة الصحية بوزارة الصحة تم عميداً للعاصمة ثم والياً لولاية طرابلس الغرب فباشر حكم الولاية في أواخر عام 1882[2] وأول مشكلة واجهته في بداية ولايته مشكلة المهاجرين التونسيين فقد أهتم بها الوالي وكانت معظم المراسلات بخصوص هذه المشكلة جرت مع السلطان مباشرة بعضها جري مع الصدر الأعظم ذلك أن

---

(1)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي (1882 -1911).

(2)- الجريدة الرسمية للولاية التي نقل عنها الدجاني وأشار إليها النائب في كتابه المنهل العذب الجزء الثاني ص4.3 - دار المحفوظات السراي الحمراء.

إسطنبول استفسرت عن عدد المهاجرين وقبائلهم وأماكن توزيعهم في الولاية وأفادت إجابات الوالي أحمد راسم وتقاريره بأن هجرة القبائل التونسية تدفقت عقب الاحتلال الفرنسي لتونس[1] وان عددهم وصل إلي مائة ألف مهاجر.

وحدد الوالي أحمد راسم أسماء زعماء ومشايخ هذه القبائل وأنهم نزلوا في الزاوية الغربية والجبل وغدامس والجهات الغربية من الولاية وقام بتقديم العون النقدي لهذه القبائل من صناديق البلدية ولابد من الإشارة هنا إلي أن الرأي العام الطرابلسي الذي اتخذ موقفاً مخالفاً لموقف الدولة العثمانية وفرنسا حيث أحسن استقبال هؤلاء المهاجرين وشجع علي استمرارهم في الجهاد ضد المحتل الفرنسي وطالب الولاية العثمانية بدعمهم معتبراً بقاء المهاجرين التونسيين في طرابلس بمثابة عدم اعتراف الدولة العثمانية بفقدان تونس وبعزمها علي استعادتها وتحريرها من الاحتلال الفرنسي وقد برز هذا الموقف في التحقيق مع المناضل إبراهيم سراج الدين وصحبه الذين حوكموا في تلك الفترة في قضية تكوين منتدى القراء تخانة.

1)_ مشكلة المهاجرين التونسيين والموقف من الاحتلال الفرنسي

عمل أحمد راسم والي ولاية طرابلس الغرب علي التخلص من هذا العبء الثقيل وذلك بتشجيع المهاجرين علي العودة إلي ديارهم أو توطينهم بعيداً عن مناطق الحدود حتى لا يكون لهم مجال لجهاد الفرنسيين والاحتكاك بهم وفي هذا الصدد توالت الرسائل من اسطنبول[2] إلي الولاية لإعادة المهاجرين إلي تونس أو نقلهم من الجهات الغربية إلي منطقة سرت ويبدو أن سلطة الولاية بتنسيق مع اسطنبول تعاونت مع

---

(1)- نفس المرجع السابق.

(2)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات , الرأي الحمراء طرابلس.

فرنسا عن طريق قنصلها المسيولاكو[1] من أجل إعادة المهاجرين التونسيين إلي مناطقهم في تونس ونجحت في ذلك فعاد أغلب القبائل تم لحقت القبائل الأخرى بعد ذلك وبذلك حلت هذه المشكلة نهائياً.

2)-مشكلة حوادث الحدود التونسية الطرابلسية

وصفت الجريدة الرسمية " السالنامة هذه المشكلة بالمسألة المهمة التي تعذر حلها حتى صارت في حكم المستحيل وحددتها بأنها " قضية الهجوم والغارات التي كانت تقع بصورة دائمة علي القبائل الطرابلسية من أشرار قبيلة ورغمة الكبيرة الكائنة علي حدود طرابلس الغرب وتونس وعدم امتناع قبائلنا مقابلة العدوان بالعدوان[2] وتمضي السالنامة في شرحها بأن قبيلة ورغمه هذه وقبيلة النوايل والمحاميد من قبائل ولايتنا القريبة من الحدود وهم عبارة عن عربان رحالة ونزالة يغيرون مكانهم تبعاً للمطر والرعي غير مختصين بمحل للإقامة كما هو معلوم ودأبهم من قديم التعدي والتجاوز سواء علي بعضهم أو علي سائر الأهالي من الطرفين بقتل النفوس وغصب الأموال والحيوانات بحيث كان سبباً مباشراً لتهديد أمن الحدود والإخلال بالهدوء، ولم تجد التدابير المتخذة من حكومتي الطرفين نفعاً، ونجد السالنامة " الجريدة الرسمية " تشير إلي خطورة الوضع بسبب انعكاسات الاحتلال الفرنسي لتونس وشعور القبائل التونسية بالغبن الذي لحق بها الأمر الذي اضطرها للتعبير عن سخطها وعدم القبول بالواقع الذي فرضه ذلك الاحتلال، وفي الجانب الآخر نجد أن حكومة ولاية طرابلس الغرب لا تستطيع تحمل تلك المشاكل لأنها قد تدفع

---

(1)- ادهم / وثائق تاريخ ليبيا الحديث 1881-1911 منشورات جامعة بنغازي وثيقة رقم (43) ص 71.
(2)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882-1911 ص319.

بالمحتل الفرنسي للقيام بزحف علي أراضي جديدة لذلك لم يكن أمام الوالي أحمد راسم إلا الدخول في حل سياسي يوقف إشكالية الحدود.

لقد قبض علي بعض العناصر الذين كانوا سبباً في المشاكل والاضطرابات علي الحدود وكذلك شمل القبض من يحميهم من المتنفذين وتم تأديبهم منعاً لوقوع تلك الغارات وبهذه الإجراءات التي اتخذت بين سلطات المحتل الفرنسي وحكومة ولاية طرابلس الغرب توقفت حوادث النهب والغارات علي الحدود وساد فيها الأمن والاستقرار وصارت حركة الحدود عادية أمام الانتقال والتجارة وذلك باسترداد الحيوانات والأشياء التي غصبها أهالي الطرفين اعتبار من كانون الثاني لسنة 1883[1]..

ذلك هو موضوع الحدود الذي شرحته السالنامة " الجريدة الرسمية " وهو الموضوع الذي تصدي له الوالي أحمد راسم باشا في بداية عهده والذي نال اهتماماً من الأوساط الدبلوماسية الأوروبية لأن أوضاع الحدود سويت كما يريدها الاحتلال الفرنسي في ظل ضعف عام تعاني منه السلطة العثمانية وانعكس مباشرة علي ولاية طرابلس الغرب التي أسندت لأحمد راسم باشا الشخصية القوية والتي لم تجد بدا من التعامل مع قضية الحدود إلا بتنفيذ شروط المحتل وقلبت الأمور في قضية نزاع الحدود وخرجت عن معناها الحقيقي وهو أن النزاع في الحدود التونسية الطرابلسية لم يكن غارات ونهب وسلب كما صورت السالنامة العثمانية ولكن مقاومته للاحتلال الفرنسي من تلك القبائل التونسية التي رفضت الانصياع للمحتل الفرنسي فقاومته لأنه كان يطاردها حتى الحدود وكثيراً ما اضطرت القبائل التونسية المجاهدة إلي الدخول إلي حدود ولاية طرابلس الغرب بحثاً عن النجاة ووضع

(1)- قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس ملف رقم 3 شعبة الملفات.

الإستراتيجية لاستمرار الكفاح ضد المحتل الفرنسي بعد أن تلتئم جراحها وتحصل علي العـون والمساعدة من القبائل الليبية المتاخمة للحدود الغربية[1] من جهة أخري لم تتوقف فرنسا عن محاولة تغيير معالم الحدود لمصلحتها سواء علي الحدود التونسية الطرابلسية أو الحدود الجزائرية الطرابلسية يشجعها في ذلك ضعف حكومة الولاية بل وضعف السلطة العثمانية ومن جهة ثانية كانت فرنسا تعمل علي مد مصالحها والبحث عن عملاء يساعدونها لبسط نفوذها علي أكبر مساحة يمكن أن تضمها علي الساحتين التونسية والجزائرية وقد تطور هذا عندما عملت فرنسا علي تحويل طرق تجارة القوافل إلي حيث نفوذها في تونس والجزائر وذلك بنقل موانئ تونس والجزائر ونجد قناصل فرنسا نشطوا في هذا المضار. . وكان لشارلفيرو قنصل فرنسا في طرابلس الغرب أثناء ولاية أحمد راسم باشا الدور الكبير في هذا الشأن فقد عمل علي ممارسة كل الضغوط علي حكومة الولاية لتأديب من أسماهم العصاة والخارجين علي القانون في الحدود الغربية والجنوبية للولاية وكان الهدف من كل ذلك التحرك لهذا القنصل أن تؤمن فرنسا حدود مستعمراتها ضد أي شغب أو أية محاولة لعرقلة مصالحها في المنطقة بل أن قناصل فرنسا المتعاقبين عملوا علي استمالة قبائل التوارق ليكونوا في خدمة المصالح الفرنسية في المنطقة وأوجدوا الفتنة بين توارق الهوجاريين وتوارق أزقر فحصل بينها القتال ولما انتصرت قبائل توارق الهوجاريين علي توارق أزقر تحالفت الأخيرة مع قوات الاحتلال الفـــرنسي في الجزائر وصـارت في خدمة مصالح الاحتلال الفرنسي[2].

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

(2)- عبد الرحمن تشايجي – الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى مركز جهاد الليبيين 1982 ص119.

يلاحظ أن السياسة العثمانية في مشكلة الحدود اتجهت إلي إزالة مسبباتها حـرصاً علي عــدم الاحتكاك بفــرنسا، فكانت المواقف العثمانية متخاذلة ضعيفة، ولم تجد هذه السياسة نفعاً في حل المشكلة الحدودية أمام مشاعر القبائل المتحفزة لمقاومة الاحتلال الفرنسي وكذلك أمام أطماع الاحتلال الفرنسي الذي لم تتوقف عن التوسع، ذلك أن حوادث الحدود هذه كانت تشتد بين فترة وأخري والمحرك لهذه الحوادث دائماً أطماع فرنسا في المنطقة وعملها علي تحصين مستعمراتها التي تشكلت ضمن حدود واحدة أصبحت فرنسا بموجبها تقول بالمصالح الفرنسية في غرب ووسط أفريقيا، ويتضح من الوثائق التي تشير إلي ذلك أن مشاكل الحدود قد تفاقمت في نهاية ولاية أحمد راسم باشا بل وفي عهد خلفه الوالي نامق باشا طوال عام 1896-1897 فقد تحركت السلطات الفرنسية في تونس لاحتلال مواقع جديدة لها في الجنوب والتسلل إلي ولاية طرابلس الغرب خاصة عندما ضيقت السلطات الفرنسية علي بعض القبائل التونسية وأرغمتها علي الانخراط في حرس الحدود ثم اتجهت إلي رسم خط للحدود بما يتناسب ومصلحتها في تونس وعندما قامت بذلك حصنت الحدود بقلاع وحصون وقواعد انطلاق للتوسع، وقد سبب هذا التحرك عدة حوادث خطيرة اشتبكت فيها قوات الحدود في تونس بالقبائل الطرابلسية وسقط فيها عدد من القتلى والجرحى، ونجد لهذا التوسع الفرنسي في الحدود الغربية آثاراً كبيرة في الأوساط الدبلوماسية الأوربية المتنافسة عــلي الاستعمار وخاصة في الخارجية الإيطالية التي كانت تعد العدة لعملية الغزو[1].

لم ترضى إيطاليا بالتوغل في حدود الولاية وطالبت بأن تبقي حدود الولاية علي ما هي عليه وكأنها بذلك تعتبر الولاية تابعه لها. وأمام هذه التجاوزات الفرنسية في

(1)- عبد الرحمن تشايجي – الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى ص121.

قضية الحدود لم تتصد السلطة العثمانية لهذه الاعتداءات بموقف واضح لدرجة أن قائمقام نالوت تعب من كثرة غزوات الجندرمة الفرنسية وطالب عدة مرات باتخاذ موقف صارم من هذه الاعتداءات لكن حكومة ولاية طرابلس آثرت الصمت المطبق تبعاً لصمت السلطة علي ذلك فما كان من قائمقام نالوت[1] إلا أن قدم استقالته ورفض العودة إلي مقر عمله ويبدو أن الحال من بعضه فقد طالب الوالي اسطنبول بالقيام بموقف حازم تجاه تلك الاعتداءات ولكن لم يحظ بشيء وهذا يعني أن هناك تآمر في اسطنبول مع القوي الأجنبية ولعل حقي باشا الذي كان سفيراً للدولة العثمانية في إيطاليا ثم " صدراً أعظم " في اسطنبول لا يستبعد أن يكون وراء ذلك التواطؤ وبذلك استمرت مشكلة الحدود علي ما هي عليه وعانت القبائل في ولاية طرابلس الغرب الكثير حيث قطعت أطراف من أراضيها وتمت الإغارة علي ممتلكاتها وكانت هذه القبائل تطالب بإلحاح السلطة العثمانية من خلال الولاية لتقوم بدحر هذه التوغلات من قبل الجندرمة الفرنسية خاصة بعد أن أصبحت تلك الجندرمة من عناصر القبائل التونسية المتاخمة لحدود ولاية طرابلس الغرب، ولكن ضعف الدولة العلية وبالتبعية ضعف الولاية أدي إلي استمرار مشاكل الحدود ووقوع حوادث خطيرة عاني منها أهالي القبائل الطرابلسية طويلاً ولم يحدث أن ساعدت حكومة الولاية هذه القبائل لتدافع عن نفسها ضد هذه الاعتداءات رغم إلحاحها في الطلب وبقي الحال علي ما هو عليه حتى تم إبرام اتفاقية تسمى بإتفاقية زواره التي رسمت فيها الحدود بين الدولة العثمانية وفرنسا في 1910/5/19 بطرابلس الغرب.

---

(1)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882-1911 ص72.

3) الحد من نشاط القناصل الأوروبيين في الولاية :-

من الأمور التي تصدي لها الوالي أحمد راسم باشا كأقوى والي عرفته ولاية طرابلس الغرب من حيث الإدارة وطول المدة التي ساعدته في أن يقوم بما يجب أن يقوم به لتحصين الولاية والوقوف في وجه نشاط القناصل المشبوه وخاصة نشاطهم في ترتيب رحلات الرحالة الأجانب الذين تستروا تحت ستار الرحلات وهم في حقيقة الأمر جواسيس يقومون بالدراسة والبحث والتمهيد لعملية الاستعمار التي تستعد لها الدول الأوروبية صاحبة المشروع الاستعماري في الولايات العثمانية سواء إنجلترا أو فرنسا أو إيطاليا فيما بعد، ويلاحظ أن القناصل الأوروبيين قد غالوا في استغلال امتيازاتهم منتهزين فرصة ضعف الدولة العثمانية وضعف إدارتها وسلاطينها وولاتها، فقد كان للقناصل امتيازات أرادوا توسيعها فيما يخدم مستقبلية الاستعمار الأوروبي في الولاية ووسط أفريقية بل وفي شرقها وغربها، ويأتي على رأس أولئك القناصل (وارنجتون) warington القنصل الإنجليزي الذي احتفظ بمركزه في الولاية لمدة تزيد عن أربعين سنة والذي لعب دوراً كبيراً وهاماً في حركة الكشف الأوروبي لأفريقيا كما برز أيضاً منافساً للقنصل الفرنسي روسو وقبله شارل فيرو[1] وقد اهتمت السلطة المركزية العثمانية بهذا الموضوع وحاول السلطان عبد الحميد الثاني التصدي له وكانت خطوات هذا التصدي لتحديد " خصائص قناصل الدول الأجنبية القاطنين في الممالك السلطانية ". ... وتعميمها ضمن نشرة علي الولاية من قبل " فخامتلوا دولتو رئيس الوكلاء " حتى لايكون هناك سوء فهم يمكن القناصل من استغلاله. وتمت هذه الخطوة في غرة ذي القعدة 1298 هجرية الموافق 1881 وهي الفترة التي تولي فيها أحمد راسم باشا وقد نقل أحمد النائب في

---

(1)- مابل تود – عشر سنوات في بلاط طرابلس الغرب – ترجمة دار الفرجاني – طرابلس 1968ص 78.

كتابه نص هذه الفقرة عن جريدة الجوائب المؤرخة في السابع من المحرم 1299-1882 والتي كان يصدرها في اسطنبول أحمد فارس الشدياق وكانت هذه الجريدة من الجرائد المقروءة في طرابلس. . وتبدأ النشرة بالإشارة إلي الخلل الذي يتم عن عدم تحديد وضوح التشريعات للقناصل فتقول :-

" لا يخفي عليكم أنه لعدم وجود أصول تشريفات خاصة بكيفية المعاملة مع قناصل الدول القاطنين في السلطنة العثمانية حيث جرت المعاملة علي كيفيات شتي وتجاوزت الحدود في كثير من الأحيان فنشأ عن إجراء أمر تشريفاتي في بعض الأحيان قيل وقال وأحدث مسائل مرتبكة بدون الوصول إلي نتيجة ما، فمن تم لزم وقف هذا الأمر وعليه رأيت من المناسب أن أبلغكم بعض تعليمات مبينة علي قاعدة عمومية يجب اتخاذها بالنظر إلي علاقة مأموري الولايات مع قناصل الدول ونضرائها إذا سافروا إلي الولايات علي سبيل السياحة"[1] ثـم تتعرض النشرة لأصل وظيفة القنصل واختلافها عــن وظيفة السفير السياسي، فوظيفة القنصل تخص المصالح التجارية التي تتعلق ببلاده فلا يسوغ له أن يحسب نفسه أن له أمور تشريفات تتعلق بكيفية استقباله وملاقاته !!...تم تحدد النشرة أصول التشريفات المتعارف عليها دولياً وتوضح " أنها مطابقة للأصول عليها فـي المادة الخامسة مـن النظامات التي قـررها مـؤتمر برلين في 9 مارس 1815.

لقد كان هذا التحديد أمراً ضرورياً للحد من تصرفات القناصل التي تجاوزت حدود مهامهم وصفاتهم ومع ذلك استمرت ظاهرة استغلال القناصل لضعف الدولة العثمانية، تحركها أطماع دولهم وأساليب التحرش بالدولة العثمانية في الولايات" وعلم أيضا من المحررات التي وردت من الوالي أحمد راسم باشا إلي الباب العالي أن

(1)- أحمد النائب – المنهل العذب الجزء الثاني ص11-13.

القنصل المذكور كان متوجهاً للقنص ومعه خادمه، فلما أراد القنصل العبور من باب المدينة طلب منه الخفير أن يطلعه علي رخصة الصيد فأبي وقال أن قنصلاً مثلي لا يحتاج إلي رخصة فقال له الخفير أنه لا يمكنني أن أميز القنصل من غيره إلا بالملبوس؟ الرسمي، فلا أعرفك الآن إلا صياداً، وضابطي أمرني بألا أدع أحداً يتوجه إلي الصيد إلا برخصة فما كان من القنصل الإيطالي إلا أن ضرب الخفير بالسوط ولولا تدارك بعض الضباط لهذا الأمر لكان من الممكن أن يقتل رعاع الناس القنصل ولكن قدر المولي تبارك وتعالي أن تدارك بعض الضباط الأمر ومنع التعدي علي القنصل. فتبين من هذا أن القنصل هو الذي تعدي علي العسكري، فإنه كان يلزمه ألاَّ يتوجه إلي الصيد بدون رخصة عملاً بالقواعد الجارية والأصول المرعية في البلاد[1].

وكانت هذه الحادثة سبباً في حدوث قطيعة بين الوالي وقنصل إيطاليا، ولم يلبث أن انتقل الموضوع إلي الدولتين وتقول صحيفة الجوائب: " إن جرنالات الآستانة روت أنه بعد ورود تلغراف الوالي إلي الباب العالي في هذه القضية أرسل في الحال إلي سفير الدولة العلية في روما إشعاراً بأن يطلب من دولة إيطاليا عزل القنصل المذكور، وان ناظر خارجية الملك أجاب بأنه سيطلب من القنصل تفصيل متعلقات هذه الحادثة "[2].

بالمقابل طالبت الصحف الإيطالية أنه " لابد للباب العالي أن يعطي لدولة إيطاليا الترضية " وقد علقت الصحيفة العثمانية علي هذه الروايات بما يدل علي وعي بالأطماع الإيطالية فقالت " ومهما يكن من اختلاف هذه الروايات فلا ينكر أن

(1)- أحمد النائب – المنهل العذب الجزء الثاني ص14-15.

(2)- الدجاني ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي نقلاً عن جريدة الجوائب.

قنصل إيطاليا قد فتح باب المناقشات مع الوالي بل بالأحرى أن نقول مع الدولة العليا لغايات لاتخفي علي من أمعن النظر في مطامع إيطاليا في طرابلس مما يعبر عنه أهل السياسة بامتداد منافعها التجارية في سواحل أفريقيا، كما أنها تسعي في امتدادها في سواحل البحر الأحمر".

ثم تحاول الصحيفة أن تغطي الواقع العثماني الهزيل في الولاية برغم وجود قوة عسكرية تزيد علي ثلاثين ألف من العساكر النظامية ليجعلوا مطامع إيطاليا طائشة عن الغرض[1].

لقد اشتدت هذه الأزمة خلال الشهر التالي وامتلأت صحف أوروبا بأخبارها حين نشب خلاف ثاني بين الوالي والقنصل الإيطالي نجم عن حادثة صغيرة ضَخَّمها قنصل إيطاليا ومفادها " أن القنصل اتخذ وليمة عمومية تحت حمايته حضرها كثير من الأهالي المسلمين وغيرهم (ويبدو أنها كانت تظاهرة منه لإثبات وجوده) فأبي أحد المدعوين المغفلين غير الـواعيين علي حد تعبير جريـدة الجوائب– إلاَّ السير في كونه هرج في الملهي مما اقتضي مداخلة قواس القنصل فأدركه القواس وضربه غير أن القنصل رأي أن ذلك إهانة لشأنه والمكان فأتخذ من ذلك مشكلة طلب فيها شرفه وناموسه وأصر علي ذلك"[2].

وقد رفع الموضوع إلي الدولتين وأرسل الباب العالي أمراً إلي الوالي بتفويض المسألة إلي المحكمة الابتدائية وفق اتفاق بين ناظر الخارجية بالباب العالي مع الكونت كورتي سفير إيطاليا باسطنبول، وقد نعت الجوائب علي "بعض الرعاع من الناس الذين يجهلون السياسة ويوقعون الباب العالي في ارتباكات دولية.. ومن ترصد بعض

(1)- أحمد فارس الشدياق – جريدة الجوائب بتاريخ 4 ربيع الأول 1883 هـ اسطنبول، ص2.

(2)- أحمد النائب – المنهل العذب الجزء الثاني ص14- 18.

قناصل الدول الأجنبية بأن يحدثوا ولايات السلطنة السنية مما يجحف بالراحة والسلامة".. وطالبت أرباب الأمر والنهي في الولايات بالمزيد من الحزم والعزم في منع طرق الخلل وتكدير والخواطر. كما طالبت أعيان المدينة "أن يرشدوا رعاع الناس إلي ما فيه نفع وخير البلاد في الحال والاستقبال" ونشير هنا إلي تحدي القنصل الفرنسي مشاعر الطرابلسيين وإقامته حفل استقبال كبير بعد احتلال فرنسا لتونس في العيد القومي الفرنسي 14-7-1889 أحيته فرقة موسيقية.

يبدو أن أحمد راسم نجح إلي حد بعيد في الحد من عنجهية القناصل الأوروبيين ومراقبة نشاطهم المشبوه. ونلمس في مراسلات قنصل إيطاليا (موتا) إلي الخارجية الإيطالية تحسبه من إثارة غضب الوالي[1].

كذلك تابع أحمد راسم باشا تطبيق قرار 1880 الذي يقضي بمنع جميع الأوربيين من السفر في دواخل البلاد وقد أشار إلي هذا القرار الرحالة الإنجليزي (كوبر) في مقدمة كتابه وواضح أنه حين زار طرابلس في ربيع 1895 كان القرار نافداً ولكنه استطاع مع ذلك القيام برحلتين عامي 1895ـ 1896 في مناطق غريان وترهونة ومسلاته مما يشير إلي وجود خلل واضح في الإدارة العثمانية[2] ويبدو كذلك أنه سبق اتخاذ هذا القرار صدور أمر من والي طرابلس عام 1877 يمنع الرعايا البريطانيين من الإقامة خارج المدن وحتى في القرى المجاورة لها وهناك وثيقة تتضمن مذكرة من السفارة البريطانية إلي وزارة الخارجية العثمانية تطلب إبطال هذا الأمر.

---

(1)- مجموعة مراسلات الخارجية الإيطالية –رسائل قنصل ايطاليا بطرابلس في 16- 4 -1896و 1 9- 4- 1896 دار المحفوظات السراي الحمراء- طرابلس.

(2)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي(1882-1911) نقلاً عن كوبر ص 80.

4) رفع الحماية الأجنبية عن الرعايا العثمانيين.

تدخل عملية رفع الحماية الأجنبية عن الرعايا العثمانيين ضمن اهتمامات الوالي أحمد راسم باشا من أجل وضع حد لخروج بعض الرعايا العثمانيين عن سلطة الدولة العثمانية ويشرح النائب نقلاً عن السالنامة هذا الموضوع بقوله :ـ" كان بعض الأشخاص من المسلمين والموسويين من أهالي مركز الولاية قد راجعوا بعض قناصل الدول الأجنبية الموجودين هنا وتمكنوا ـ كيفما كان ـ من قيد أنفسهم في سجلات الحماية الأجنبية وذلك إما بسبب ما كانوا يقاسون إذ ذاك من التضييق والأذية من بعض المتنفذين والمأمورين المحليين بمقتضي أغراضهم ومنافعهم الذاتية، واعتادوا علي تنفيذ أغراضهم بهذه الصفة كلما حدثت لهم مطلبه لدي الحكومة أو المحاكم، حتى أن البعض كان قد أحرز رسمياً صفة تبعية للدولة المدعي حمايتها، فأول ما عني به حضرة الوالي المشار إليه بصورة مخصوصة هو هذا الأمر[1] كان هذا الموضوع مهماً جداً بالنظر لكون الكثير من رعايا الدولة العثمانية قد دخلوا تحت ستار الحماية وخاصة عندما كانت لهم أعمالاً تجارية كبيرة وأرادوا التهرب من دفع الضرائب ويأتي في مقدمة الذين أخذوا الحماية اليهود وطوائف أخري، كذلك أصبح وضع الولاية يتطلب هذا الإجراء ووضع جميع رعايا الدولة العثمانية تحت سلطتها وضمن قوانينها سيما وأن نشاط القناصل بدأ يتوسع في إطار مشروع الغزو الأوروبي بعد أن تم احتلال تونس في مايو 1881 وصار القناصل يشجعون منح الحماية لبعض رعايا الدولة العثمانية والذين استخدموا جواسيس علي مصالح وأمن الدولة العثمانية وخاصة الأجانب من غير العرب والطوائف الإسلامية الأخرى ـ وفي مقدمة من استخدموا كجواسيس اليهود خاصة وأن الحركة

---

(1)- أحمد النائب – المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب اسطنبول الجزء الثاني ص2 مرجع سابق.

الصهيونية نشطت في أواخر القرن التاسع عشر للأعداد لقيام الدولة الصهيونية في فلسطين فكان من الطبيعي أن يكون اليهود في مقدمـة الجواسيس والمتعاملين مع قناصل الدول الأجنبية مثل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا[1].

فقد تحصلت عائلات يهودية في طرابلس علي الجنسية الإنجليزية مثل عائلات أربيب ـ وركاح وناحوم وحسان وحداد وغيرهم من العائلات التي بقيت موجودة في طرابلس حتى عام 1967 وخلال دخول إنجلترا إلي ليبيا وجدنا أبناء هذه العائلات دخلوا الشرطة التابعة للإدارة البريطانية وكان منهم ضباط في الشرطة وكانوا رؤساء لكثير من مراكز الشرطة التي كانت في عهد الإدارة البريطانية (1943ـ1951).

لذلك فإن الوالي أحمد راسم باشا بذل جهداً كبيراً للحد من هذه الظاهرة التي كانت منتشرة في ولاية طرابلس الغرب خلال ثمانينات القرن 19 واستطاع هذا الوالي الذي تميز بقوة الشخصية وبطول مدة ولايته (15 سنة) أن يخرج هؤلاء المحميين من الحماية الأجنبية واحداً بعد الآخر ويرجعهم إلي تابعيتهم للدولة العثمانية وقضي علي كل التظلمات التي كانت سبباً في دخول هولاء ضمن حماية الدول الأجنبية فاسترجعت الحقوق واستقر الأمن فلم يعد أحداً يفكر في هذه الحماية الأجنبية.



(1)- أحمد النائب – المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب اسطنبول الجزء الثاني نفس المصدر ص2.

المبحث الثالث

الإصلاحات العثمانية في عهد أحمد راسم باشا

قام الوالي أحمد راسم باشا ببعض الإصلاحات التي كانت بارزة في أوضاع طرابلس خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر منها ماسبق الإشارة إليه ومنها ما استجدت فيما بعد وتأتي كافة تلك الإصلاحات التي قام بها أحمد راسم باشا تنفيذا لسياسة عبد الحميد الثاني في هذا المجال وكان بعضها متصلا بالضغط الأوروبي وبعضها الأخر نابعا من حاجة البلاد الماسة للإصلاح ويمكن أن نتتبع هذه الإصلاحات في مجالات عدة منها تجارة الرقيق – والتجهيزات – والصحة – والمصارف – والزراعة والمواصلات – والإدارة[1].

1 - **منع تجارة الرقيق :-**

كان منع تجارة الرقيق هو الشيء الأول من قرار الدولة العلية والحديث الذي أورده النائب كيف كان الرقيق يجلب من أفريقيا الوسطي التي عرفت أنداك بالسودان إلي طرابلس حيث كان يباع فيها للتجار من مختلف الجهات وكما هو معروف فإن تجارة الرقيق كانت جزءاً من تجارة القوافل التي لعبت فيها طرابلس دورا كبيرا عبر التاريخ بحكم موقعها الجغرافي فكانت مدينة طرابلس مركزا رئيسيا لتجارة القوافل باعتبارها نقطة لقاء طرق عدة كانت تشكلها هذه التجارة وقد أطلق عليها الأوروبيون كما سبق أن ذكرنا اسم بوابة أفريقيا.

---

(1)- الدجاني – ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882- 1911 ص85.

تأتي عملية المنع لهذه التجارة ضمن الإصلاحات التي نفذها الوالي أحمد راسم باشا تطبيقا لقرار الدولة العلية لمنع تجارة الرقيق وتقول السالنامه الجريدة الرسمية بعد أن كان يجلب الرقيق من البلاد السودانية إلي ولاية طرابلس الغرب بواسطة القوافل التجارية ويباع عني حضرة الوالي عناية تامة بالإجراءات الشديدة التي وضعتها الدولة علي تجارة الرقيق أو تجارة هؤلاء الأسري الزنجيين وأعطي أوامر مشددة لمن يلزم فلم يعد يجلب منذ مدة أحدا من أولئك الأسري وأن تجاسر أحد علي جلب أسير أو أسيرين بصورة خفية فتجري في حقه 22 المجازاة النظامية[1] وكانت تجارة الرقيق قد أخذت بالاختفاء في أوروبا عقب صدور قرار بتحريمها بمؤتمر فيينا1885 واتخذت الدوال الأوروبية موضوع تجارة الرقيق ذريعة للضغط علي الدولة العثمانية التي كانت في بعض ولاياتها بقايا من هذه التجارة

واهتمت الدولة العثمانية لمجاراة الدوال الأوربية في الالتزام بقرار التحريم تخلصا من ضغط بعض هذه الدوال وكسبا لترضية البعض الأخر فعممت الدولة تنفيذ القرار الذي صدر في بداية عام 1280هـ[2].

ولعل من أبراز صور الضغط الأوروبي ما مارسته لإيطاليا الطامعة في طرابلس تمهيداً لغزوها التي دأبت علي ترديدها بأن طرابلس فيها تجارة الرقيق ومما قاله جوليتي رئيس وزراء إيطاليا الذي تزعم فكرة استعمار إيطاليا لطرابلس في هذا المجال لا تزال أحوال التخلف تسيطر علي ليبيا بصورة غريبة يكفي للتدليل علي ذلك أن في بنغازي لا تزال تمارس تجارة العبيد الذين يختطفون بالقوة من أواسط

---

(1)- نفس المرجع السابق.

(2)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881 -1911 الطبعة الاولي منشورات جامعة بنغازي 1979 ص121.

أفريقيا ويباعون بعد ذلك في أسواقها[1] ومن المستحيل السكوت علي هذه الوصمة علي أبواب أوروبا وكان هذا القول أساس حملة إعلامية دبرها جوليتي في عام 1905 علي صفحات الصحف الايطالية تمهيدا للغزو.

وهكذا حرصت الدولة العثمانية بعد فقدانها تونس 1881 علي تطبيق قرار تحريم تجارة الرقيق في طرابلس وتولي أحمد راسم الإشراف علي تطبيق القرار ومنع جلب الرقيق ونجد رسالة بعث بها الوالي إلي قائمقام غريان بتاريخ 2 جمادي الأول 1311هـ مدي تشدده في منع جلب الرقيق فقد جاء في الرسالة بلغنا انه يجلب خفية مع القوافل السودان بعض الرقيق الزنجي ويباع آحادا أو أزواجاً داخل الولاية فإذا حدث هذا الأمر يكون مخالفا للأمر القطعي بالمنع وموجب للمسؤولية الشديدة ضد موظفي الدولة الذين يغمضون العين ويتسامحون مثقال ذرة واحدة في هذا الصدد وهو يشير فيها ألي أوامره المتكررة ويطالب بتوقيع العقوبات علي المخالفين الاعتناء وبدل الهمة لاستكمال أسباب المحافظة التامة علي هذا المنع من كل يد[2].

وكان الشق الثاني من قرار الدولة عتق جميع الأرقاء الموجودين في طرابلس ممن جلبوا قبل قرار المنع وتدابر أمورهم ولقد لخصت السالنامه «الجريدة الرسمية» هذا الإجراء بما يعني نصاً (أما الأسرى الزنجيون المجلوبون والمباعون هنا قبلا فيعتقون حالا إذا راجعوا الحكومة وتعطي لهم أوراق العتق كما أن الإناث يوضعن عقب عتقهن في بيت مخصص لهن من البلدية ويطعمن منها ويقمن هناك علي صورة الضيافة بقصد وقايتهن من السفالات والحالات الغير مرضية إلي إن يزوجهن

---

(1)- نفس المرجع.

(2)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881 - 1911 الطبعة الأولى منشورات جامعة بنغازي 1964.

لطالبهن أو يعطينا لمن أراد بصفة خادمات بالأجرة الشهرية وقد استكملت أسباب معيشتهن وراحتهن علي هذه الصورة ونلاحظ اهتمام الولاية لمعالجة أوضاع هؤلاء الذين شملهم قرار العتق مع متطلبات العيش الكريم كما نلاحظ أن السالنامه وصفت الرقيق بأنهم أساري زنوج تأكيدا لعدم شرعية استرقاقهم الذي كان مخالفا في الروح والنص لشريعة الإسلامية[1].

وتوضح بعض الرسائل أن استانبول طلبت عددا من الزنوج للخدمة في الحرس الملكي فتم إرسالهم.

هذا وقد تابع أحمد راسم باشا تطبيق قرار العتق كما تابعه القناصل الأوربيون من وجهة نظرهم وكانوا دائما يتخذون موضوع الرقيق حجة للتدخل كلما سنحت لهم الفرصة بذلك ونظرا لان التطبيق لم يكن محكما تماما لذلك نجد القناصل يتدخلون في هذا الشأن – وها هو القنصل الأمريكي يبعث برسالة إلي الوالي أحمد راسم في بداية توليه بخصوص عبدة اسمها عائشة كانت ملكا لأحد الطرابلسيين ثم تحررت ودفعت ثمن الضريبة ولكنها بعد ذلك لوحقت وحكمت المحكمة بعبوديتها وضربت بشدة من قبل سيدها وشيخ المحلة فتدخل أصدقاؤها لدي القنصل الأمريكي الذي تدخل باسم الإنسانية والعدالة وعرض الحقائق طالبا من الوالي أن يتخذ اللازم وهناك تقرير كتبه متصرف الخمس عام 1302 هـ يوضح ذلك وقد استغل القناصل حق العتق فكانوا يدعون الأرقاء إلي قنصلياتهم ويقول المتصرف «انه لا يجوز إن يذهب العبيد إلي القناصل لان الدولة تستطيع إن تحررهم»[2].

---

(1)- أوراق تجارة العبيد دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس وثيقة رقم 75.

(2)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث - الوثائق العثمانية 1881 – 1911 وثيقة رقم 75 ص 121.

ونتيجة لضغط القناصل علي هذه المسألة تشدد الوالي راسم في تطبيق قرار التحريم ولاحقه بعناية في مختلف أنحاء الولاية.

وهناك رسالة تؤكد ذلك بعث بها أحمد راسم إلي قضاء غريان بتاريخ 27 شوال 1304 هـتشير إلي تبليغ كافة المسؤولين بتحريم الرق وتنذر المأمورين الذين يتساهلون في تطبيق الأمر إن الدولة لن تتردد في معاقبتهم فقد جري الاتصال مع قائمقام فزان حول هذا الموضوع وتطلب الرسالة علي عجل بإرسال أي أرقاء لديهم ليتسلموا أوراق العتق في الولاية[1].

يبدو إن لوالي احمد راسم نجح في منع تجارة الرقيق إلي حد بعيد فقد جاء في رسالة بعث بها إلي وزارة الداخلية باستانبول بتاريخ 6 شعبان 1306 هـتقول انه منذ 30 مارس 1289 بلغ عدد المعتقين 1420 شخصا وان وجدت مخالفات في شأن الرقيق فإنها مخالفات فردية كانت تحصل بصورة سرية ويلاحظ إن التشدد في شأن متابعة تجارة الرقيق كان يشتد بتشدد ضغط القناصل في هذا الموضوع وخاصة من الأجانب الدعاية الايطالية ضد طرابلس وتشير بعض الوثائق[2] وهي رسالة من متصرف الجبل تؤكد عدم وجود تجارة الرقيق بالجبل مطلقا وتاريخ هذه الرسالة 1311 هـ- الموافق 1893 م.

2- **التجهيزات العسكرية :-**

يرجع اهتمام السلطة العثمانية بالتجهيزات العسكرية إلي ظهور الخطر الأوروبي عندما قامت فرنسا باحتلال تونس في شهر مايو 1881 وبعدها بسنة واحدة وبالتحديد في يوليو 1882 قامت بريطانيا باحتلال مصر وهذا جعل الولاية بين

---

(1)- نفس المرجع السابق.

(2)- نفس المرجع السابق وثيقة رقم 75 ص121.

كماشة الاحتلال الانجليزي لمصر والفرنسي لتونس ناهيك عن تلويح ايطاليا بالاحتلال لولاية طرابلس بعد إن ضاع أملها في احتلال تونس ولكن فرنسا أقدمت علي غزو تونس لتأمين احتلالها الجزائر وكذلك صون مصالحها في وسط وغرب إفريقيا لذلك تحركت السلطنة واستجابت لطلبات احمد راسم باشا بضرورة تقوية الدفاع في الولاية فعينت قمندانا علي العساكر السلطانية هو الفريق زكي باشا خلفا للفريق وصفي باشا الذي عزل أواخر عام 1881 م واتجهت جهود الوالي والفريق زكي باشا إلي تدريب الأهالي علي السلاح وإنشاء الكثير من القلاع واستحكامات الدفاع[1] ويحدثنا أحمد النائب عن هذه الاستحكامات فينقل عن جريدة الجوائب المؤرخة 27 رجب سنة 1299 ما نصه ((من مقتضي القرار العالي إنشاء استحكامات في نقاط مناسبة سواء بداخل البلد أو في السواحل أو خارجها وقد أنشأت وأكملت إلي حد الآن استحكامات في بعض المواقع من تلك النقاط مبنية للغاية علي موجب فن الحرب صالحة لكل نوع من المقاومات والمدافعات ووضع كل منها ما يلزم من مدافع كروب من الطراز الجديد[2].

ويلحظ في خبر الجـريدة الرسمية الحرص علي إضفاء العظمة والإتقـان علي ما تم[3].

وما يلفت النظر في خبر الجريدة انه تحدث عن تجاوب الأهالي مع هذا العمل واندفاعهم للمساهمة فيه فقد مضي الخبر يقول:-

---

(1)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية 1881-1911 وثيقة رقم 75 ص 121.

(2)- نفس المصدر.

(3)- أحمد النائب- المنهل في تاريخ طرابلس الغرب مرجع سابق ص9.

أن أكثر ذوي الحمية من الأهالي يذهبون كل يوم علي طريقة المناوبة لمحل الاستحكام الكبير الذي بدأ إنشاءه قبل هذا في المنطقة المسماة برج التراب الكائن دخل السور ويعاونون العساكر السلطانية فعلا في عملية البناء للإسراع بإتمام ذلك الاستحكام وأن أخواننا الكريتيين الساكنين في طرابلس ساعدوا في إنشاء الاستحكام المذكور باهتمام، ثم تعلق الجريدة معبرة عن تقدير هذا الإحساس الوطني لدي الناس واحترامه.

من جهة أخري يعلق السيد الطاهر الزاوي الذي حقق (المنهل العذب) علي ما أورده النائب نقلا عن الجوائب بقوله يحاول المؤلف أن يتحدث عن معاونة الأهالي الحكومة بدافع من حبهم لمعاونتها والحقيقة إن هذه الإعمال كلها كانت في زمن السخرة التي تستبيح فيه الحكومة لنفسها تسخير الأهالي وحيواناتهم في أعمال النقل وجميع إعمالها الأخرى بدون اجر ويفسر حديث النائب بأنه أضطر لمجارات الزمن الذي كان يعيش فيه وقد أدركنا بعض هذا الزمن ورأينا كيف يجمع الأتراك الإبل بالقوة ويكلفون أهلها بالذهاب معها بدون اجر[1] ومع التسليم بما أورده الزاوي من عملية السخرة إلا أن الأهالي تفاعلوا حقيقة مع هذه الإجراءات التي قامت بها السلطنة العثمانية في ولاية طرابلس الغرب من رباطات واستحكامات وطوابي وهنا لابد أن نشير إلي ما سعي إليه المناضل إبراهيم سراج الدين مدركا من خلال (النظام نامه العسكري) الذي ألحقه ببرنامج تنظيم القراء تخانة الذي ضم صفوة الشباب في ذلك العهد وصارح فيه بضرورة إعداد العدة وتسليح الأهالي وبناء الاستحكامات بعد سقوط تونس مباشرة في مايو 1881 فقد تناقلت روايات أوراق محاكمة إبراهيم سراج الدين بأنه سعي لدي الفريق والقائد المكلف بقيادة عساكر

---

(1)- أحمد النائب- المنهل في تاريخ طرابلس الغرب مرجع سابق ص9.

السلطنة في الولاية يحثه[1] علي تحصين ولاية طرابلس الغرب وتسليح الأهالي وتدريبهم بل إن إبراهيم سراج الدين عاش المأساة التي عاشتها القبائل التونسية التي دخلت إلي حدود ولاية طرابلس الغربية ملتجئة إلي السلطنة العثمانية والي الأشقاء في الولاية بضرورة مساعدتها لمكافحة الغزو الفرنسي ومدها بالسلاح لتستمر في مقاومة الاحتلال الفرنسي وتستعيد تونس إلي حظيرة الدولة العثمانية لذلك نري إن التحام الأهالي ومسارعتهم في التعاون للتحصين وبناء الطوابي والرباطات جاء من منطلق الوعي الوطني والقومي حفاظا علي ولاية طرابلس الغرب من الوقوع في قبضة الاحتلال الأوروبي الذي بدأ يعد العدة لذلك[2].

طالب الأهالي الحكومة بتدريبهم علي السلاح وأمام هذا التحرك الشعبي في المطالبة بالتسليح والاستعداد الحربي استجابت الحكومة لمطالبهم فاندفعوا لمعاونتها في تحصين مدن الولاية وسواحلها ويؤكد هذا ما جاء في وثائق محاكمة إبراهيم سراج الدين ورفاقه من حديث أولئك الشباب عن ضرورة تحصين البلاد ومساهمة الأهالي في هذا المجال وهناك رسالة من احمد راسم باشا بتاريخ 2 جمادي الأولي 1303 الموافق 1886 إلي وزارة الحربية يقول فيها: (إن تطوع الأهالي لإصلاح القلعة أدي إلي تخفيض نفقات الإصلاح[3] ويتضح من حديث النائب الذي عاصر المرحلة إن نشاط الوالي أحمد راسم كان عظيما في إنشاء الاستحكامات في بداية عهده فهو يتحدث عن عدة قلاع تم إنشاؤها خلال العامين 1882- 1883 من ولايته وكان أولها برج التراب الذي يقع من جهة الغرب الجنوبي وقد نقل النائب عن جريدة

---

(1)- نفس المرجع السابق.

(2)- الطاهر الزاوي- تحقيق المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب الجزء الثاني ص39.

(3)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

طرابلس الغرب المؤرخة في 3 شعبان 1299 هـ1883 م في وصفه لهذا لبرج انه مرتفع علي ساحل البحر بخمسين أو ستين مترا تقريبا وحقا انه لنقطة محكمة بنظر فن الحرب وكان إنشاءه علي ثلاث طبقات غاية في المتانة والرصانة ووضعت المدافع اللازمة من مدافع كروب القلاعية الجسيمة في الجهتين اليمنى واليسرى وجهت إطرافه بغيرها من المدافع الجديدة) ويذكر انه كان في ذلك التاريخ قرب تمام إنشائه وتجهيزه يسعي وغيره من العساكر السلطانية وانضمام معاونة الأهالي بفعل الوعي الوطني والقومي الذي سري بين الناس بفعل الدعوة التي أطلقها إبراهيم سراج الدين ورفاقه في أول جمعية سرية سياسية أسست في ولاية طرابلس الغرب تحت أسم جمعية قراء تخانة.

أما القلاع الأخرى التي تم إنشاؤها فهي استحكامات – العونية – الحميدية – طالبيه- واستحكام سيدي منصور- اوكومندان طابية س - واستحكام قرقارش – واستحكام برج فراره[1]– سلطانية طابية س وغيرها من الاستحكامات وقد بوشر في بناء هذه القلاع والاستحكامات والطوابي سنة 1299هـ/ 1882م وتم تجهيزها سنة 1300هـالموافق 1883 وقد شهد الرحالة الإنجليزي كوبر Cowper هذه القلاع خلال زيارته لطرابلس في نهاية عهد أحمد راسم وذكر إن الأتراك يسيطرون علي طرابلس كلها ولديهم ثلاث قلاع في المدينة وأربع قلاع خارجها ومن هذه الأربعة الأخيرة من الخليج وتعرف باسم برج الانجليز وتقع الرابعة إلي الجنوب الشرقي من المدينة علي حافة الصحراء وهي تغطي الطريق إلي مسلاته ترهونة وجميعها قلاع ترابية في كل منها ثلاثة مدافع كما تحدث الرحالة كوبر عن وجود معسكرات واسعة ومخيم في خارج المدينة وقال إن جميع قطع الأراضي الغير مبنية بالقرب من السور

(1)- أحمد النائب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب الجزء الثاني ص386.

داخل المدينة مستخدمة كمخازن عسكرية وقد عملت الدولة العثمانية في عهد احمد راسم باشا علي تعزيز وجودها العسكري في الولاية وكانت طرابلس الغرب تمثل دائرة عسكرية فرعية – تضم بعض الفيالق دون إن تكون جيشا كاملا[1].

ويقول عزيز سامح في كتابة الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية إن طرابلس أصبحت تضم في نهاية القرن التاسع عشر لوائي مشاة وأربع آليات واليات الخيالة طابور قناصة وكانت هذه القوات موزعة في أنحاء الولاية وتوضح لنا رسالة بعث بها المشير عارف قائد فرقة العساكر إلي اسطنبول حول عدد العساكر في طرابلس عام 1314 هالموافق 1896 انه كان يوجد طابور مشاة وثلاثون من الفرسان وخمسة عشر مدفعيا في واقع الزاوية والعجيلات وزواره وسيدي علي مركزهم في زواره ويوجد طابور من المشاة احدهما في يفرن والثاني في الزنتان موزعين علي فساطو ومزده والريانية وغدامس ونالوث وعشرين من الفرسان وخمسة عشرة مدفعيا في زليطن ومصراته وسرت ومركزهم الخمس ويوجد ثلاث سرايا من المشاة في ترهونة وورفلة وغريان والجفرة ومركزهم في طرابلس وقد استوحت زيادة عدد القوات إنشاء ثكنات جديدة لإقامة الجنود[2].

من جهة أخري وضمن التجهيزات العسكرية التي اهتم بها الوالي احمد راسم تدريب الأهالي على حمل السلاح وإعدادهم للمقاومة الشعبية.

(ويقول روسي) في هذا الصدد (وزع السلاح على الأهالي بعد الاحتلال الفرنسي لتونس1881 والاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882 في محاولة لتهدئتهم) وقد كان

---

(1)- أحمد النائب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب الجزء الثاني ص388.

(2)- عبد السلام ادهم – الوثائق الطبعة الأولي 1974 منشورات جامعة بنغازي – الوثائق 82 -84- 85- ص 133-137 - 138.

أهالي طرابلس معفيين من الخدمة العسكرية شأنهم في ذلك شأن أهالي بعض الولايات العثمانية الأخرى مثل اسطنبول واليمن والحجاز ويضيف «أن السلطنة العثمانية عمدت إلى إعفاء القبائل من التجنيد الإجباري , واستخدمت الكورغلية بدلاً منهم وحصلت بدلاً مادياً من هذه القبائل»[1] وقد طلب أحمد راسم في بداية عهده من اسطنبول إرسال مزيد من السلاح إلى طرابلس وذكر أن العشرة آلاف بندقية من نوع شنايدر الألمانية المرسلة لتسليح عشرة آلاف مقاتل عند الحاجة لا تكفي , عليه فهي تريد إرسال عشرة آلاف بندقية أخرى لتحصين الولاية عسكرياً كما جاء في فحوى بنود التنظيم العسكري ذي السبع مواد الذي صاغه إبراهيم سراج الدين إضافة إلى البنود العشرين لجمعية القراء تخانة والتي كانت تعتبر محطة أساسية لتحريك الشعور الوطني للاعتناء بحالة الولاية تعليمياً وصحياً ودفاعياً[2].

لذلك لم تجد السلطات بداً من الاستجابة لمبدأ التدريب وخاصة بعد أن تصدت لنشاط أولئك الشباب , وقد أعلن الوالي خطوة التدريب في منشور تحت رقم 75 بتاريخ 19 شعبان 1302هـالموافق 1885 وزعه على المتصرفيات والأقضية والنواحي وحث فيه الشعب على المبادرة للتدريب على استعمال الأسلحة الجديدة التي وردت منها كميات كبيرة إلى طرابلس والتي ستوزع على كافة الجهات في المراكز لتسلم إلى أفراد الشعب الذين يحضرون مواقيت التدريب الذي سيتولاه ضباط وجنود من الجيش متخصصين لذلك حتى يكون القادرون على أهبة الدفاع عن الوطن إذا ما داهمه أي عدد من الجيش[3].

---

(1)- وصف الرحالة كوبر الاستحكامات العسكرية ص 40 من الترجمة.

(2)- عزيز سامح –الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ص208

(3)- ايتوري روسي – ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ترجمة وتقديم خليفة التليسي الطبعة الأولى الدار العربية للكتاب 1974-1991 ص348.

وذكر عزيز سامح أنه أرسلت أربعون أو خمسون ألف بندقية إلى طرابلس لتوزع عند الحاجة على معسكر الرديف من الأهالي ونتوقع أن يكون الأهالي قد أقبلوا على التدريب في الفترة الأولى تعبيراً عن شعورهم بالخطر الأوروبي ونستدل من تحقيق واستجواب جرى مع أحد المواطنين في الزاوية الغربية عام 1892 أن راسم باشا وزع أسلحة من نوع القاباق على أهل الزاوية للمحافظة على أنفسهم ثم عندما استتب الأمن على الحدود التونسية استرد الوالي هذه الأسلحة من الأهالي كما نستدل من نداء وجهه الوالي نامق باشا الذي خلف أحمد راسم باشا إلي السكان عام 1314 – الموافق 1897 م للتدريب علي النظم العسكرية إن بعض الأهالي لم ليبثوا إن أحجموا علي التدريب بعد إن سرت شائعات بأن الغرض من جمع العساكر هو للخدمة في إنحاء دول نائية ولكن جاء في النداء بعد الحديث عن فوائد التدريب أنه لا أصل لما اختلقه المرجفون من أن المراد من هذا التدريب أخذ عساكر من هنا ورفعهم للانضمام إلي عساكر الاناظول والاستانة وبلاد الشام[1] فهم هنا من طرف أمير المؤمنين نصره الله حاميا لهذه الديار عندما يتصدي لها احد فيشتركون معهم في الدفاع عن وطنهم وحريمهم والحال هم الأولي بالمحافظة علي ديارهم وأعراضهم وأموالهم وقد قام نامق باشا بجولة في إنحاء الولاية كان من أهدافها إقناع لأهالي بأن غرض التدريب الدفاع عن طرابلس ونفي تلك الإشاعات التي نتوقع إن تكون الدوال الأوروبية وايطاليا خاصة لها دورا في طرحها وتعميمها وقد كان لتلك الإشاعات صدي وتأثيرا في نفوس الأهالي لان السياسة الحميدية كما سبق إن شرحنا عمدت إلى تجنب رعاية الدولة للقضاء علي الفتن الداخلية بأسلوب ضرب القوميات

(1)- نيكولاي ايلتش بروشين – تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ترجمة وتقديم د. عماد حاتم الطبعة الثانية دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت يناير 2001 ص359.

فيها بعضها ببعض ونستدل مما نشرته مجلة المعلومات التي كانت تصدر باللغة العربية في اسطنبول حول التعليم العسكري في ولاية طرابلس الغرب إن برنامج التدريب حقق بعض النجاح فقد كتبت في عددها العاشر بتاريخ 26 ربيع الولي 1315 هالموافق 25 أغسطس 1897 م مشيرة إلي عناية الحكومة في السنين الأخيرة بولاية طرابلس ذات الموقع الهام وقالت فمن جملة ذلك ما هو واقع من السعي والهمة في تدريب الأهالي علي الأصول والتعاليم العسكرية واستعمال الأسلحة الجديدة ويقدر عدد المتطوعين في هذه الكتائب بألف ومائتي فارس ونحو خمسة آلاف من المشاة مفطورين علي الشجاعة والحماسة والفروسية والأوصاف العسكرية[1] ونلاحظ هنا أسلوب المبالغة في الوصف الذي كان سائدا لنضع هذا الكلام محلة وفي حجمه الطبيعي قبل إن نتابع حديث المجلة وهي تقول:

وهم مفتخرون بصداقتهم للدولة العلية وكمال ارتباطهم بمقام الخلافة المقدس فقد اقبلوا جميعا بكل شوق وارتياح لتلقي التعاليم العسكرية مند سنين في سائر أنحاء الولاية وواظبوا علي أخدها وإجرائها من إخوانهم العساكر النظامية الموجودين في الولاية فتدربوا عليها حتى أتقنوها وأعطيت لأكثرهم أوراق الشهادة لمعلميهم الضباط والشواش العسكرية بأن أهدوا لهم ساعات وغيرها ولم تزل التعاليم المذكورة جارية بمزيد الشوق والنشاط[2] والعدد الذي أوردته المجلة عن مجموعة من المتدربين ليس قليلا ولا يستبعد إن فترة التدريب استمرت سنوات لأن آثار ذلك التدريب ظهرت في المقاومة الشعبية الطرابلسية للاحتلال الايطالي فيما بعد وهناك وثيقة تتضمن رسالة من الوالي إلي القائد سنة 1315 هالموافق 1897م جاء فيها

---

(1)- مجلة الأفكار العدد 27 يناير 1960.

(2)- الدجاني – ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882 -1911 ص98-99.

قول الـوالي «إننا ننشأ كتائب الحميدية كما فعلنا في بلاد الكرد والعرب ويستدل من هذه الوثيقة إن التدريب كان عاما في الولاية ونجد في تقرير عسكري انه تم تدريب ثلاثة طوابير في طرابلس وخمسة في الساحل وواحد في جنزور الخ. . وكان الشاب الذي يتم تدريبه يأخذ شهادة بذلك فيطلق سراحه علي إن يعود للتدريب شهرا كل عام لمدة ساعتين يوميا» ولم تلبث الدولة أن فرضت الخدمة العسكرية علي أهالي طرابلس بعد أن كانوا معفيين منها كما سبق أن ذكرنا وقد جاء في حوليات طرابلس إن القرار صدر في 23 نوفمبر 1901 وهو خاص بالتجنيد الإجباري وضرائب العقارات فألغي القرارات السابقة وهذه الخطوة لقيت مقاومة كبيرة داخل البلاد.[1]

كما أوضح ايتوري روس إن المرسوم الغي الكولوغية وما يتصل بها وطبق الخدمة العسكرية الإلزامية هذا ولاحظ محمد فريد وهو شخصية هامة من شخصيات الحركة الوطنية المصرية في الحزب الوطني في رحلته التي قام بها عام 1902 إن الدولة اهتمت بتجنيد الأهالي وكانت قد أعفتهم في بادي الأمر من ذلك فعارضوها وامتنعوا ثم قبلوا الدخول في الجندية بشرط إن تكون خدمتهم قاصرة علي الدفاع عن بلادهم فقط وان لا يرسلوا إلي الخارج مطلقا كما ذكر إن الحكومة مهتمة ألان بإحصاء النفوس ليمكنها تنفيذ القرعة العسكرية عليهم وربما ثم هذا الأمر بعد سنة علي الأكثر[2]

(1)- نفس المرجع السابق ص102.

(2)- الدجاني – ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882 -1911 ص103.

البريد والبرق (التلغراف والمواصلات):-

شملت اهتمامات أحمد راسم باشا في تطوير الأوضاع في الولاية تحسين وسائل الاتصال بين مركز الولاية وأطرافها بالنظر إلي المطالبة بالإصلاح من قبل المصلحين في الولايات العربية ومنهم إبراهيم سراج الدين المطالبة التي بدأ ينفذها السلطان عبد الحميد الثاني فكان لابد أن تلبي هذه المطالب في ولاية طرابلس الغرب ويعمل احمد راسم باشا علي تنفيذها فتم بذلك مد خطوط البرق لأول مرة داخل ولاية طرابلس الغرب وفي هذا الصدد يقول أحمد النائب في كتابه المنهل العذب.

(لما كان من مقتضي الإدارة السنية السلطانية تمديد الخطوط التلغرافية برا إلي المواقع الهامة الكائنة داخل ولاية طرابلس فقد مرت هذه الخطوط علي التوالي ابتداء من مركز قضاء الزاوية الذي أكمل وشرع في مخابرته في الرابع والعشرين من صفر الخير سنة 1300 هالموافق 1884 م ثم إلي قضاءات ترهونة – ورفلة – غريان والعجيلات الملحقة بمركز الولاية والي ناحية زوارة الكائنة علي حدود تونس والي قضاءات مصراته وزليطين ومسلاته التابعة للواء الخمس وقضاء نالوت وفساطوا الملحقتين بالجبل وذلك بثمرة الجهود الجليلة التي بذلها الوالي المشار إليه حضرة الوالي احمد راسم باشا[1] كما تم إحداث البوسطة البرية والبحرية علي حد تعبير احمد النائب الذي نقل لنا ما أوردته طرابلس الغرب في هذا الموضوع فقد ذكـرت الجريدة (انه قد فتحت هذه المرة بداخل دائرة الولاية بواسطة برية وبحرية) وان المكاتب التجارية أصبحت تنقل عن طريق ترهونة أو ورفلة وسوكنة ثم إلي فزان في كل يوم اثنين وهو اليوم المحدد لنقل البريد إلي ناحية تاجوراء وهكذا نلاحظ أن

---

(1)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث- الوثائق العثمانية 1881-1911 منشورات جامعة بنغازي 1974 وثيقة رقم 44 ص72.

البريد كان يسلك أربع طرق رئيسية تصل بين طرابلس ومختلف أنحاء الولاية وهي طرق القوافل المعروفة منذ القدم وفي إطار توسيع الخدمات حصل تحسين في المعاملات البريدية فأصبح ممكنا للتجار والأهالي الذين يتخابرون مع داخل الولاية أو مع الخارج أيداع الأمانات النقدية مقابل اقتطاع أجر بسيط[1] وكانت الأمانات تنقل إلي الخارج علي بواخر بواسطة الإدارة المخصوصة التي تشتغل بين دار السعادة وطرابلس الغرب كما جري تحسين الاتصال بالمناطق النائية في الولاية ونستدل من رسالة وجهها متصرف فزان بتاريخ 27 شعبان 1306 هـأبريل 1889 إلي الولاية إن بوسطه غات تروح وتأتي خلال خمسة وأربعين يوما وفي بعض الأوقات علي ستين يوما وكانت تصل عن طريق سوكنه علي ظهور الجمال ويقترح المتصرف تعديل نظام الإرسال وتعين موظفين جدد لتنقص المدة إلي خمسة وعشرين يوما من جهة أخري حدثنا الرحالة الانجليزي كوبر أن البريد العثماني بقي متخلفا علي الرغم من محاولات التحسين وذكر مثلا علي هذا التخلف (أن مدير البريد وجد يوما إن الطوابع الموجودة لديه لا تزيد عن خمسة عشرة طابعا فحاول إن يجد بعض الطوابع من الأسواق لأنه طلب الطوابع من اسطنبول ولكن طلبه كان يهمل دائما وفي مرة أخري كنت في ميناء الخمس ووصل ساعي البريد الأسبوعي إلا إن البريد لم يوزع فأرسلنا من يسأل عن السبب وعرفنا انه حينما فتحت رزمة البريد وجدت خالية لأن مدير بريد طرابلس نسي إن يضع فيها الرسائل[2].

إن هذه الرواية التي يروجها الرحالة كوبر اعتقد إن فيها التجني علي مدير بريد طرابلس وهذا يأتي ضمن المبالغات في وصف حالة البريد في طرابلس الغرب ويشير

---

(1)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي لليبيا 1882-1911 ص46 نقلاً عن كوبر.

(2)- نفس المرجع السابق.

كوبر في كتاباته إلي إن هناك دائرة بريد إيطالية إلي جانب دائرة البريد العثمانية يصفها بأنها أهم من الدائرة العثمانية بكثير. أن وجود دائرة بريد ايطالية في طرابلس الغرب يعني إن الأوروبيين قد نفذوا إلي مدينة طرابلس عن طريق الإعمال الفنية فأسسوا عدة شركات ومن هذه الشركات كانت شركة البرق ((التلغراف)) الشرقية التي تولت أمور الاتصال البرقي وكان مديرها في عام 1900 إنجليزياً والمعروف كما جاء في حديث مابل تود كان الاتصال يبن طرابلس والعالم يتم عن طريق مالطا ويذكر الرحالة الانجليزي كوبر إن الحجر الصحي ودار العزل تحت إشراف أوروبي تتولاهما إدارة شبه دولية وأن الفنار تتولاه شركة في طرابلس وان أي شيء جاد وشاق هو في أيدي الأوروبيين[1] وكانت الموصلات بين طرابلس والخارج في معظمها بأيدي الأوروبيين وتسيرها شركات أجنبية أوروبية عن طريق مالطا وذكر محمد فريد في رحلته من مصر إلي ليبيا إلي مصر أن المواصلات بين طرابلس ومالطا متصلة في اغلب أيام الأسبوع بواسطة السفن الايطالية والفرنسية والانجليزية وغيرها أما السفن العثمانية فقليلة التردد علي طرابلس الغرب وكانت بواخر العثمانيين تتردد علي طرابلس في عهد أحمد راسم باشا كما نقلنا عن النائب ولكنها لم تعد تتردد بانتظام ويقول محمد فريد مؤكدا ذلك (وقد أخبرت إن وابورات الشركة المخصوصة كانت تأتي إلي طرابلس وتتردد في الشهر ولو بغير انتظام ولكن منذ سنة لم تعرج عليها والأهالي مستاءون من ذلك لاضطرارهم إلي ركوب مع عائلاتهم علي السفن الأجنبية لو أرادوا السفر إلي اسطنبول وغيرها وهم يتمنون لو عادت الشركة المخصوصة إلي سابق عادتها وأنشأت خطا لها يمر بسواحل الشام ومصر ومنها إلي طرابلس فيربط هذه الأجزاء المتقاربة بالوضع الجغرافي المتباعدة

---

(1)- نقلاً عن الدجاني عن محمد فريد في كتاب من مصر إلى مصر ص131.

بسب عدم وجود مواصلات[1] ونجد هنا إن إشارة محمد فريد لربط طرابلس بالشام ومصر تدل علي وعي أهالي طرابلس لزيارة الشام ومصر وربط العلاقة بالبلاد العربية ونجد إن دار المحفوظات ومن خلال الوثائق إن البريد كان ينقل بين طرابلس ومالطا في أول عهد احمد راسم باشا بواسطة الباخرة طرابلس الغرب وهذه الباخرة اشتراها احد الطرابلسيين من انجليزي وهو السيد علي القرقني الذي كان شيخ البلد في طرابلس وجري الاتفاق بينه وبين الدولة العثمانية علي نقل البريد بين طرابلس ومالطا ثلاث مرات في الشهر اعتبارا من صيف 1895م وقد أشار كوبر إلي هذه الباخرة وقال لقد شاهدت هيكل باخرة غارقة أسفل أسوار القلعة كانت تسمي طرابلس الغرب وتبحر بين طرابلس ومالطا ويقال أغرقت عمدا بسبب المنافسة والخلاف[2] وهذا نرجعه إلي تآمر قباطنة السفن الأوروبية وربما الايطاليين بالتحديد هم الذين كانوا وراء غرق الباخرة ليصفي لهم الجو وتستحوذ سفنهم علي النقل من طرابلس إلي مالطا وهذا الأمر يأتي ضمن المؤامرات الأوروبية علي ولاية طرابلس الغرب إلي عملية الاحتلال التي ستتم في عام 1911.

أما بالنسبة للموصلات فكانت متخلفة تقتصر علي استخدام الدواب واستمر هذا التخلف حتى بداية القرن العشرين ويقول محمد فريد خلال رحلته المتباعدة لا برا ولا بحرا ولا توجد سكة جديدة وان المسافة بين طرابلس و فزان بالخيل والجمال لمسيرة ثمانية عشرة يوما وقد أكد محمد فريد إن مشكلة تخلف الموصلات في الولاية هي من أكثر مشاكل الولاية وختم كلامه بالإشارة إلي تحسين الوضع الدفاعي الذي كان يفترض إن يتلازم معه تحسين في الموصلات إلا إن الموصلات بقيت منعدمة بين

---

(1)- نفس المصدر السابق ص 47.

(2)- الدجاني – ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي 1882- 1911 ص131 نقلاً عن محمد فريد.

الثغور وداخلية في البلاد وهكذا يبدوا لنا انه منذ عهد احمد راسم باشا جرت محاولات لتحسين الموصلات داخل الولاية ولربط أنحائها بالمركز وبين الولاية ولكن هذه المحاولات لم تحقق إلا القليل من التقدم وبقي حال المواصلات متخلفا جدا في الفترة التي حدثت فيها ثورة الموصلات في العالم وازداد فيها الخطر الأوروبي علي ولاية طرابلس الغرب.

إذا كان حال الموصلات وهي من المرافق الحيوية جدا متخلفا في عهد أحمد راسم باشا فلا شك أن كل المحاولات التي قام بها وشملت المرافق التالية :-

1- الإصلاحات البلدية والقروية والتأسيسات الخيرية.

2- تشكيل دوائر بلدية في الملحقات وإنشاء قصور الحكومة فيها.

3- الإنشاءات في طرابلس.

4- الزراعة.

5- المالية.

6- المعارف.

لم تكن في مستوي التطور المنشود لان معظمها جاء متأخرا في مرحلة كانت الدولة العثمانية من الضعف المالي والعجز للصرف علي هذه المرافق لذلك نجد الوالي يعتمد في ذلك علي جباية الضرائب التي أرهقت كاهل الأهالي وآذت إلي مزيد من الفقر والجوع والمرض بين أوساط الأهالي لذلك فان كافة تلك المرافق التي حاول الوالي احمد راسم باشا إن ينشاها لم تجد الإمكانيات التي تمكنها من التوسع والانجاز خاصة وان الولاية أصبحت تحت ضغط قناصل الدول الأوروبية الذين فرضوا مشاريعهم في إنشاء المدارس لجالياتهم إلتحاق اليهود وبعض المواطنين بها وحاول

احمد راسم باشا إبعاد المواطنين من الالتحاق بهذه المدارس إلا إن مجهوداته باءت بالفشل.

وبالرغم من محاولات الوالي احمد راسم باشا الارتقاء بأوضاع الولاية من خلال جمع الضرائب ومضاعفتها إلا انه وقع في خطأ كبير وجسيم وهو تتريك السجلات المالية في الاقضية فقد كانت المعاملات التحريرية تجري في القديم بمعرفة مديري المال علي اللسان العربي فلم يكن يحصل الانتظام في المخابرات الرسمية كما يقول النائب (ولقد عين احمد راسم) كتبه تحريرات جدد للقضاءات من خريجي المكاتب الرشيدية لتحريـر الأمـور باللسان التركـي [1] (وعلق الزاوي علي هذا الإجراء بأنه نوع من الاستعمار في اللغة عن طريق اندماج المحكوم في قومية الحاكم) وقد كان لهذا الإجراء وغيره رد فعل سيئ بين الأهالي لكن احمد راسم باشا استهدف بهذا الإجراء ضبط الأمور المالية وزيادة الواردات بالنظر لشح الدعم المادي من الأستانة وتقول العديد من المصادر إن احمد راسم باشا لم يعد يحصل علي أية أموال من الأستانة واعتمد علي بعض الإصلاحات التي حاول انجازها علي ما أخذه من الأهالي في شكل ضرائب بعضها كانت متوقفة فأعادها إلي الجباية والبعض الأخر زاد في قيمتها فاستطاع الحصول علي الأموال من داخل الولاية صرف منها علي الولاية وما تبقي يرسله إلي اسطنبول تقربا للسلطان عبد الحميد الثاني.

مواجهة احمد راسم باشا لثورة الجنوب:-

ضمن الإحداث التي وقعت في عهد ولاية احمد راسم باشا ثورة الجنوب التي قادها الشريف حميد وأخيه محمد في منطقة فزان عام 1301 هالموافق1883 م فقد

---

(1)- الدجاني – ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي 1882- 1911 ص 159.

استمرت هذه الثورة عدة سنوات وأثرت علي وجود الدولة في المدن والواحات الجنوبية فتصدي لها هذا الوالي وبدل جهوداً كبيرة للقضاء عليها لأنها كانت تهدد وجود الدولة في السودان الأوسط تشاد[1].

وتأتي هذه الثورة انعكاسها على الظلم الذي مارسه المسئولون الأتراك في منطقة فزان وعدم اهتمامهم بالإصلاحات التي طالب بها الأهالي لذلك كانت ثورة حميد الدين وأخيه محمد نتاجاً لحركة الوعي القومي التي قام بها إبراهيم سراج الدين فكانت عامل تحريضي للأهالي ضد الاستبداد العثماني وهجوم الغزاة الفرنسيين على تونس عام 1881م ومتابعة توسعهم في الجنوب غرب الولاية امتداداً من الحدود الجزائرية والتونسية[2].

منع العرب من زيارة الولاية :-

لقد اتخذ الوالي أحمد راسم باشا إجراءات منع العرب من زيارة الولاية خوفاً من أذكاء الروح القومية في الولاية ففرض على كل عربي يريد زيارة الولاية أن يحصل على رخصة (تأشيرة) ونشر شرطته لمتابعة ومراقبة كل زائر وتوضح ذلك ببرقية أرسلها أحمد راسم باشا بالشفرة إلى رئاسة الوزراء بتاريخ 28 كانون الأول عام 1892 م مشيرا فيها لقضية إبراهيم سراج الدين المكاوي ويختم البرقية بقوله «ولهذا أمرت بعدم السماح لأي احد يصل براً وبحرا بقصد طلب الإعانة أو السياحة أو لأي غرض كان من مكة أو من بلاد عربية أخري للتجول داخل الولاية وأصدرت الأمر إلي جميع الملحقات بأن يقبضوا علي كل مشتبه فيه لا يحمل رخصة للسياحة من مركز الولاية وإرساله إلي هنا للتحقيق في أحواله وإعادته إلي بلده التي جاء

---

(1)- الدجاني بدايات النهضة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882 – 1911) مرجع سابق ص 34.

(2)- الدجاني / ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي (1882 -1911) ص 379 -385.

(3)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881- 1911.

ونلاحظ بملف التحقيقات بدار المحفوظات انه اجري التحقيق مع عدد من الأشخاص خلال حكم احمد راسم باشا وهذا كله يصور جو الحذر الذي أحاط بتلك الفترة سواء بسبب نشاط الأجانب أو تحرك الشعب ونتتبع سياسة احمد راسم والأحداث التي جرت في عهده خلال وثائق تلك الفترة فنلاحظ انه كان حريصا علي إعادته هيبة الدولة في الولاية وضبط الأمور فيها لذلك درس أحوالها وتفهم الأوضاع فيها تم اتخذ الإجراءات التي تمكن من قبضة الدولة منها ورسم سياسة لخدمة هذا الهدف وقد وجد أن عليه الاهتمام بإقامة علاقة موزونة مع أعيان البلاد والعناية بموظفي الولاية وجهازها التنفيذي وتشرح الرسالة بعث بها إلي[1] الصدر الأعظم رئاسة الوزراء بتاريخ 12 شعبان 1301 الموافق 1883 م ملامح سياسته اتجاه الأعيان والموظفين كما تشير إلي واقع الحكومة المتفكك والذي كان سائدا في الولاية وجهوده وضبطه فهو يقول (لا حاجة للبيان والعرض علي أنظار جانب الصدر الأعظم الباحث عن دقائق الأمور بأن جل حوادث الفساد في البلاد تأتي دائما بتحريض أرباب المصالح والمنافع الذاتية والأغراض الشخصية ممن هم في المقدمة كما إن ذلك من الأمور المجربة فقد ثبت لعبدكم من شهودات تحقيقات العاجز منذ قدومه إلى الولاية أن رباط عقد الحكومة تفكك شيئا فشيئا ما بعد ولاية مشير الضبطية الأسبق أمين باشا ولما رأيت تشعب نفوذ الحكومة وانفراد بعض الأعيان بالنفوذ كنت أعاملهم بالشدة أحيانا وباللين أحيانا وكنت من جهة أحطم وامحوا نفوذ البعض من الدين بلغ نفوذهم الغاية القصوى في الولاية والاقضية والنواحي ومن جهة أخري اعمل لجعل حكم القانون في المستقبل بعينه وتمامه مراعيا الإجراء في هذه الولاية بصورة حسنة أسوة بالولايات الملكية الأخرى والحاصل إن يجد مطلوب الدولة مكانة واستخدام ذوي وأرباب الكفاءات من أعيان

---

(1)- نفس المرجع السابق وثيقة رقم 72 ص116.

الأهالي)[1] وهكذا حرص الوالي إن يجعل حكم القانون مرعي الإجراء في الولايات ويحد من نفوذ الأعيان الذي بلغ حدا كبيرا قبل توليه وقد لاحظنا هذه السياسة في موقف قضية إبراهيم سراج الدين حيث لم يتساهل مع صديقه النائب رئيس البلدية كما لاحظنا إجراءاته التي اتخذها تجاه المالية التي استهدفت التقليل من امتيازات الأعيان المتنفذين لكنه لم يقضي علي نفوذ الأعيان كلية لأنه شعر بأن السلطة في حاجة لهم في مناطقهم فاستعان بهم ضمن الحدود التي رسمها وانتقد سياسة الأستانة في الاستغناء عنهم وتعيين موظفين من خارج الولاية بدلا منهم وكانت الدولة قد شكلت لجنة انتخاب الموظفين السامية واتخذت هذه اللجنة قاعدة اختيار القائمقام والنواب من الأستانة رأسا وإرسالهم إلي الاقضية.

لقد نفذ أحمد راسم هذا الإجراء لأنه رأي إن المستخدمين المحليين طرأ علي همتهم وعلي عزيمتهم رخاوة وهذا الحال سيؤدي إلي الإخلال بالمساعي المبذولة والنتائج المنتظرة لسياسته الرامية إلي مضاعفات إيرادات الدولة وضبط الأمور فيها وهو يتحدث عن استياء الأعيان من هذه الإجراء ذلك إن المألوفين بالقائمقامية والنيابة من الوطنيين اقرب إلي الأهالي في التعامل والحصول علي الإيرادات التي يطمح لها الوالي احمد راسم باشا لذلك وجدناه يبطل ذلك الانتخاب و التعيين من الأستانة ويحرص علي إن يكون بين صفوف الوطنيين الذين يري فيهم الكفاءة والإخلاص.

وضمن محاولات الإصلاح والتي فرضت عقب حركة الوعي القومي التي قام بها إبراهيم سراج الدين والذين انتظموا معه نجد الوالي احمد راسم يحرض علي متابعة أعمال كبار موظفي الدولة ويتابعهم ويوضح لهم سياسيته التي تستهدف ضبط الأمور وإقامة علاقات موزونة وقد حدث إن علم بان متصرف الجبل الغربي راغب

---

(1)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881 – 1911 وثيقة رقم 72 ص30.

بك المصري ضرب احد مشايخ الصيعان فرحل وقبيلته إلي تونس فتتبع أحمد راسم هذا الموضوع ودرس سياسة المتصرف وتعامله مع الأهالي ثم أرسل له رسالة شديدة اللهجة في 29 ذي القعدة 1304 الموافق 1886 تبصرة بنتائج تصرفاته مع الأهالي وتشرح له السياسة التي يجب أن يتبعها في تعامله مع أهالي الجبل الغربي (إن طبائع أهل الجبل معلومة لدي العاجز وان التصرف الصحيح في كل الحالات حسبما مرتب علي صفة الوظيفة يؤدي إلي النجاح ولكن علي الرغم من أننا خاطبناكم وأنذرناكم مرات عديدة فأنكم مستمرون في تصرفاتكم السابقة إن هدا الإجراء من الأسباب الموجبة لنظرة الأهالي وتوحشهم وتمضي الرسالة في شرح أخطاء المتصرف سواء في السماح لقبيلة نزحت من منطقتها بالإقامة في حدود المنطقة أو ترك قبيلة أخري تتوغل في الجزائر مما قد يؤدي إلي قيام الفرنسيين بالشكوى والتحرك ضدنا) ويطالب الوالي المتصرف بتحسين علاقته بالصيعان والنوايل وينذره بالتخلي عن سياسته الرعناء[1].

يظهر انه بسب الإجراءات التي اتخذها الوالي احمد راسم قد توترت العلاقات بينه وبين الأهالي وفي مقدمتهم عدد من الأعيان وذلك في عام 1890 إضافة إلي تلك الصرامة لمحاولة فرض النظام والحصول علي مزيد من الإيرادات للولاية طول مدة توليه فكان لذلك توتر في العلاقة بينه وبين أوليك الأعيان الذين شعروا بأن أهاليهم قد تضرروا من هذه السياسة الصارمة التي يحاول فيها الوالي إنقاذ ما يمكن أنقاده من هيبة الدولة العلية فانفجرت بينه وبينهم ما أطلق عليه حرب البرقيات خاصة عندما تناهي إلي مسامع الأعيان بأن الوالي احمد راسم باشا قد أرسل برقية إلي اسطنبول يتهم فيها الأهالي بأنهم يميلون إلي الأجانب فغضبوا لذلك اشد الغضب وكانت هذه القشة إلي قسمت ظهر البعير واشتعلت حرب البرقيات وهناك أسباب

(1)- عبد السلام ادهم - تاريخ ليبيا الحديث - الوثائق العثمانية 1881 – 1911 وثيقة رقم 38.

أخري وهي متصلة بسياسة الوالي الداخلية تجاه التعامل مع الأهالي وخاصة أسلوبه في التعيينات وانتشار الجاسوسية والمخبرين في الولاية – تواصلت حرب البرقيات بين الأهالي والوالي في اتهام شديد متبادل ونستشف من فحوي هذه البرقيات إن الوالي كان ينفذ سياسة السلطان عبد الحميد الحديدية والمتخوفة من كل الأحداث بل وحتى من الذين حوله وكان علي الوالي في ظل سطو نفوذ القناصل وضعف الدولة ومحاولات الدوال الأوروبية بالتوسع في أملاك الدولة العثمانية في ولايات أخري إن يكون ضمن تلك السياسة الحميدية التي أرادت إن تسيطر علي بقية البقية من الولايات ولكن بغد فوات الأوان لذلك كانت الأستانة راضية عن السياسة التي استخدمها أحمد راسم باشا في أواخر مدة حكمة الطويلة من جهة أخري يتضح إن الأهالي قد سري فيهم الحس الوطني وأصبحوا يتمتعون بوعي متقدم بفعل حركة الوعي القومي التي قادها إبراهيم سراج الدين ورفاقه خاصة عندما واصل حركة الوعي الوطني القومي وهو داخل السجن وجمع حوله الجموع من المعتقلين وصار يتعرف علي الشخصيات الهامة ويبعث لها الرسائل من داخل السجن ونستشهد بذلك عن تلك الرسالتين اللتين بعثهما إلي كل من الشيخ عبد الرزاق البشتي والشيخ محمد الأخضر في مدينة الزاوية الغربية ثم يتم اللقاء مع أهم شخصية واصلت العمل معه وهو المحامي محمد ابوربعية الذي كان يتوكل علي المعتقلين وتحت هذا الغطاء كان يلتقي بإبراهيم سراج الدين وينسق معه المواقف ويتبادل معه الرأي في شان البلاد وينظم إليهما يوسف عبد الجليل الصيد وآخرون ويبدو إن المحامي محمد ابوربعية تزعم حركة معارضة الأعيان للوالي احمد راسم باشا فما كان من الوالي إلا إن أرسل إلي الأستانة يطلب نقل محمد ابوربعية إلي الأستانة ونفذ هذا الأمر وبقي محمد ابوربعية فترة في الأستانة أعيد منها إلي طرابلس وأداخل إلي السجن بتهمة الإخلال بالنظام الأساسي وإلقاء الفساد في الولاية كذلك تم القبض علي يوسف عبد

الجليل الصيد والقي في السجن بتهمة تحقير الذات السلطانية وصدر قرار بلزوم محاكمة الثلاثة بعد إن نشطوا من دخل السجن في معارضة سياسة الوالي وكان لهؤلاء الثلاثة دور واضح في إيقاد جذوة الوعي الوطني والقومي واشتدت الحالة علي الوالي حينما واجهته مشاعر الأهالي بالسخط والمزيد من البرقيات إلي السلطان نطالب التدخل لإيقاف الوالي عن هذه السياسة التي تضرر منها الأهالي فما كان من الوالي إلا إن فتح تحقيقا طويلا استغرق عامين أمر بموجبه بمحاكمة إبراهيم سراج الدين ومحمد ابوربعية ويوسف عبد الجليل الصيد واستمر التحقيق حتى عام 1310 هـ الموافق لعام 1892 واسترجع تحقيقات قضية إبراهيم سراج الدين الأولي فتابع هذه القضية التي انتهت بإصدار حكم الإعدام علي إبراهيم سراج الدين وبالرغم من هذا فان برقيات شكوى الأهالي وأعيانهم لم تتوقف ونلاحظ إن الوالي لجاء إلي تجميع برقيات مضادة لبرقيات الأعيان التي ترفض ولايته وتطالب بالإصلاح فعمد إلي بعض المشايخ ومن أغدق عليهم العطايا لإرسال برقيات إلي الآستانة تؤيد إجراءات الوالي أحمد راسم باشا[1] وتصف برقيات أعيان الأهالي بأنها مدروسة وبتحريض من الأجانب وهكذا بقيت مظاهر التوتر في العلاقة بين بعض الأهالي والوالي إلي نهاية عهده وفي المحصلة فان حركة الأهالي وزعماء القبائل تفجرت للتنصل من الهيمنة العثمانية وهذه الحركة تعتبر نتاج لحركة اليقظة العربية في ليبيا آنذاك وكانت تلك الرسائل التي بعث بها إبراهيم سراج الدين من داخل السجن إلي زعماء واعيان البلاد هي التي فجرت الصراع بين الوالي والأهالي في أطار عملية الإصلاح التي طالب بها الأهالي منذ زمن بعيد.



(1)- عبد السلام ادهم- وثائق تاريخ ليبيا الحديث 1881-1911 وثيقة 56 ص 90

الفصل الثالث

النشاط السياسي الوطني في عهد أحمد راسم

* المبحث الأول :– إبراهيم سراج الدين في ولاية طرابلس الغرب.
* المبحث الثاني :– علاقة إبراهيم سراج الدين الداخلية والخارجية.

المبحث الأول

إبراهيم سراج الدين في ولاية طرابلس الغرب

عندما قفلت جريدة الفسطاط في مصر بسبب مواقفها الوطنية وتصديها للمشروع الإنجليزي الفرنسي تأكد لإبراهيم سراج الدين بأن الاحتلال الإنجليزي لمصر أصبح قاب قوسين أو أدني خاصة بعد أن دخلت القطع البحرية الانجليزية داخل المياه الإقليمية المصرية وصارت في هجوم في أية ساعة فكانت قراءته لتوالي الأحداث بأن الأوضاع آلت إلى تنفيذ الاحتلال لمصر وان وجوده أصبح معرضاً للخطر بالنظر للعداء المستحكم الذي كانت تضمره فرنسا وانجلترا له لذلك بدأ يفكر ملياً في السفر إلى بلد آخر يؤويه ويتحرك في جنباته في إطار عملية الإصلاح وتنمية الوعي القومي بين أهله فكانت وجهته ولاية طرابلس الغرب التي أصبحت أخر الولايات العثمانية في شمال أفريقيا[1] فقدا اقتنع بالاستقرار في ولاية طرابلس الغرب وهذا الأمر أستند إلي خلفيات سابقة وهي معايشة إبراهيم سراج الدين لما ألت إليه الأحداث في تونس بعد حادثة جبل خمير وزيارة أحمد النائب إلي تونس ولقائه بإبراهيم سراج الدين في تونس قبيل الاحتلال بأسابيع فكان ذلك رصيداً لإبراهيم سراج الدين في ربط العلاقة مع أحمد النائب عندما وصل إلي طرابلس[2] يبدو أن طريق البحر كان الطريق الأمن والأسهل لذلك استقل إبراهيم سراج الدين مركباً بحرياً أوصله إلي ميناء طرابلس فنزل في ضيافة الشيخ حمزة ظافر المدني الذي

---

(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911.

(2)- قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السرأي الحمراء طرابلس.

ارتبط بعلاقة سابقة مع والده عبد القادر سراج الدين وتوثقت من خلال الحجة التي قام بها الشيخ حمزة ظافر المدني في وقت سابق قبل وصول إبراهيم سراج الدين إلي طرابلس فكان ضيفاً علي عبد القادر سراج الدين الأب وها هو أبنه إبراهيم سراج الدين يحل ضيفاً علي الشيخ حمزة ظافر المدني فحفه بالحفاوة والترحاب واحتضنه بمدرسة الكاتب التي يديرها ويشرف عليها والتي تقع في زنقة الريح بالمدينة القديمة ويخصص له سكناً بجوار المدرسة تم تبدأ اللقاءات التي ينظمها الشيخ حمزة ظافر المدني لإبراهيم سراج الدين مع الشخصيات ورجال الأعيان والوجهاء الذين يعرفهم الشيخ حمزة ظافر المدني فينطلق الحوار إلي شتي القضايا التي تهم حركة الإصلاح في الولاية وفي مقدمتها العلم والمعرفة عبر التجربة الصحفية التي خاضها إبراهيم سراج الدين في صحيفة الحجاز تم في مشاركته الصحفية لعبد الغني المدني صاحب جريدة الفسطاط وإمكانية الإستفاد من تلك الخبرة الصحفية التي إكتسبها لتطوير جريدة طرابلس الغرب التي كانت تصدر في شكل متخلف عن الصحافة التي عرفتها مصر إضافة إلي المطبعة الحجرية التي كانت تطبع فيها الجريدة، لقد أراد الشيخ حمزة ظافر المدني أن يتولي إبراهيم سراج الدين أدارة هذه الجريدة ليعكس فيها خبرته الصحفية من خلال ممارسته لذلك النشاط الصحفي الذي مارسه في مصر و إطلاعاته الواسعة عبر تلك الرحلات التي قام بها متجولا في شتي البلاد يبيع ويشتري الكتب وبذلك يكون له دخل مالي يعتمد عليه خلال إقامته في طرابلس ولكن يبدو أن اهتمامات إبراهيم سراج الدين كانت منصبة علي العملية الثقافية بالنظر إلي الضحالة الثقافية في طرابلس الغرب وعدم وجود

مؤسسات ثقافية من شانها الاعتماد عليها في تنمية الثقافة للأهالي وبذلك يتم بناء الكادر المثقف الذي يمكن أن يسهم في تطور العملية الثقافية والمعرفية[1].

لقد هال إبراهيم سراج الدين ذلك التخلف المفرط الذي كانت تعيشه ولاية طرابلس الغرب والذي كان سائدا بين أوساط أهالي الولاية، فلا مدارس لهم ولا مؤسسات تعليمية ذات شأن سوي تلك الكتاتيب التي كانت بين ردهات الجوامع لتحفيظ القران الكريم ودروس في الفقه الإسلامي واللغة العربية وبعض العلوم الشرعية في وقت كانت فيه جاليات الدول الأجنبية تتمتع بمدارس حديثة ودور معرفة متقدمة في أطار ذلك الزمان فهناك المدارس الفرنسية والايطالية والنمسا والانجليزية التي كانت تحظي بالاهتمام والرعاية من قناصل تلك الدول يؤمها الطلاب الأجانب لكل قنصليه كما يوجد مدارس اليهود التي يدعمها القناصل الأجانب، أما أهالي طرابلس فلا مدارس لهم لذلك سعي إبراهيم سراج الدين بالتعاون مع الشيخ حمزة ظافر المدني وأحمد النائب لتطوير مدرسة الكاتب وتأسيس مدارس أخري لأهالي طرابلس الغرب[2] ويظهر أن هناك تقليد حميم ساد أوساط أهالي ولاية طرابلس الغرب وهو حبهم للأراضي الحجازية وأهلها فصار كل حجازي يأتي إلي طرابلس من مكة المكرمة أو المدينة المنورة يكون محل ترحاب وتقدير عال لديهم وهذا تولد من تلك الرحلات الحجازية التي كان الليبيون يحرصون علي القيام بها عبر سنوات متوالية لأداء الحج والعمرة وللاتصال والتعرف علي الشخصيات الحجازية وربط عري الصداقة بها وتوثيق العلاقات معها وهذا النهج الذي نهجه الليبيـيون جعلهم يحسون أن الشخصيات التي تأتي من أراضي الحجاز يجب أن يحتفي بها ويقدم لها كل مساعدة والحرص علي راحتها وفي هذا الإطار كان إبراهيم سراج

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

(2)- الدجاني / اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882 - 1911).

الدين محل تقدير واهتمام خاصة وأنه يتمتع بثقافة واسعة وإطلاع متفرد مكنه من أن يجذب إليه كافة الشخصيات التي إلتقاها سواءً في الجزائر أو تونس أو في طرابلس الغرب التي أصبحت مأواه الأخير بعد خروجه من مصر قبل الاحتلال الإنجليزي لها بعدة أشهر.

من هذا المنطلق بدأ إبراهيم سراج الدين بدعوة الإصلاح لتحصين البلاد يشحذ الهمم و الاستعداد لما يخبأه التآمر الاستعماري لاحتلال بقية الولايات العربية وفي مقدمتها ولاية طرابلس الغرب فكان سعيه حثيثا نحو نشر المعرفة بين أهالي الولاية وإنقاذ الأمة من ويلات استعمار أوروبي هدفه امتصاص خيرات الأمة وتمزيق أوصالها وتقطيع أواصر روابطها وتقسيمها إلي جغرافيه جديدة ضمن حدود تخدم السياسة الأوروبية المستقبلية لتتحكم في مصير الأمة وتعمل علي غرس الكراهية بين الشعوب لتسير الأمور وفق الإستراتجية الأوروبية التي كانت تتبدل وفق كل مرحلة تتناسب وتطورات الأحداث وتلتقي ومستهدفات السياسة الاستعمارية الأوروبية ولم تكن الحركة الإصلاحية التي قادها الإصلاحيون في البلاد العربية للنهوض والتطور إلا منهجاً استوعبه إبراهيم سراج الدين عندما جاء إلي ولاية طرابلس الغرب لاستكمال المشروع الإصلاحي فيها في محاولة لإنقاذها من المصير الذي آلت إليه الإحداث في تونس ومصر، ذلك أن أوضاع طرابلس الغرب كانت متردية سواء من الناحية الاقتصادية أو الثقافية المعرفية ناهيك عن الناحية السياسة التي لم تكن للأهالي فيها مساحة تذكر أو مشاركة في تسيير أوضاع الولاية فالحكم مطلق من الوالي العثماني وحتى أصغر وظيفة في الولاية وذلك يتوازي مع سياسة الاستبداد التي مارسها السلطان عبد الحميد الذي وصل به الحال إلى التوجس في كل من حوله بالنظر ألي تفاقم الأطماع الأجنبية التي مزقت الإمبراطورية العثمانية وجعلتها تفقد الكثير من ولاياتها، في هذا الخضم من

التدخل الأجنبي في شؤون السلطنة وفساد أدارتها تحرك المصلحون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سلطان السلطنة وأتاحه الفرصة للتنوير والتغير والتطور في بقية الولايات العربية العثمانية وأخرها ولاية طرابلس الغرب كذلك انبرى إبراهيم سراج الدين كأحد المصلحين والعاملين علي تأسيس النهضة العربية الحديثة وكان يطمح أن تستجيب السلطنة العثمانية لمطالب الشعوب التي كانت في تبعيتها وأراد أن تستغل ذلك الزخم الذي طالب بالنهضة والتطور والإصلاح لمؤسسات الدولة والأخذ بأسباب الحداثة والسماح لشفافية كانت يمكن أن تنقد الدولة من حالة الضعف والانهيار التي وصلت إليها - لكن السلطنة العثمانية رفضت ذلك واعتبرته خروجاً علي القانون[1] بل وسمت ذلك بالفساد وتهييج الأهالي واتهمت رموز الإصلاح بالمداخلة مع الأجانب فقبضت علي أولئك المفكرين والمصلحين وألقت بهم في غياهب المعتقلات والسجون وهذا زاد الأمر سوءً وقرب موعد انهيار السلطنة العثمانية فتفجرت الثورات وتعالت دعوات حركات الاستقلال التي استطاعت فيما بعد أن تحقق الخلاص من التبعية العثمانية التي سادت قروناً من الزمان.



(1)- الدجاني / اليقظة العربية والنضال الشعبي (1882-1911) ص23/22.

المبحث الثاني

علاقة إبراهيم سراج الدين الداخلية والخارجية

أ- علاقته الداخلية

لقد تحددت علاقة إبراهيم سراج الدين الداخلية في ولاية طرابلس الغرب منذ دخوله إلى حدود الولاية بالشخصيات التالية:-

1.علاقته بأحمد المهدوي باعتباره أول شخصية التقى بها إبراهيم سراج الدين في بنغازي عندما غادر مصر قبيل الاحتلال الانجليزي ونزل في ضيافته واستقبله بكل حفاوة وترحيب يبدو أنه كان على بينة ومتابعة لما يحدث في مصر وما انتهى إليه الأمر ولا أغالي إذا قلت أنه كان على بصيرة بما تعكسه الصحافة في مصر وهي تكشف التدخل الأجنبي في شؤون مصر إلى أن وصل الحال إلى التدخل المباشر بدخول البوارح الحربية الانجليزية إلى داخل المياه الإقليمية المصرية وفي مواجهة مدينة الإسكندرية[1] ثم وقعت تلك التطورات السريعة التي رسمتها انجلترا وفرنسا والتي انتهت بعملية الاحتلال لمصّر ومن خلال معايشة أحمد المهدوي لتلك الأحداث يبرز له اسم إبراهيم سراج الدين كمناضل وقف بوعيه القومي وثقافته وقلمه ضد التدخل الانجليزي الفرنسي في شؤون مصر.

هذه الفرضية بينتها بالأريحية والاحتضان الطيب الذي استقبل بها أحمد المهدوي عميد بلدية بنغازي المناضل إبراهيم سراج الدين حيث بقي في ضيافته مدة شهرين

---

(1)- لوردكرومر – الثورة العربية – ترجمة عبد العزيز عرابي ص 101- 104.

كان فيها الصديق الودود لإبراهيم سراج الدين ولاشك أن هذه الإقامة كانت مواعيد لجلسات وحوارات عدة توطدت فيها العلاقة واستفرد بالحوار ما آل إليه حال المسلمين مما يؤكد أن الحدث قد هزّهُما من الأعماق وبالتوازي كان الحوار حول ولاية طرابلس الغرب قد فرض نفسه بالنظر إلى ما عكسته عملية الاحتلال الفرنسي لتونس كذلك ولم يعد للدولة العثمانية مساحة سوى ولاية طرابلس الغرب في شمال إفريقيا[1] استناداً لكل ذلك نقول :- إن لقاء إبراهيم سراج الدين بأحمد المهدوي لم يكن لمجرد الزيارة أو اللقاء بأهل الحجاز كما تعود الليبيون عندما تأتيهم شخصيات من مكة المكرمة أو المدينة المنورة ولكنه لقاء يندرج ضمن عملية الإصلاح والبحث عن فضاء لها ألا وهو ولاية طرابلس الغرب باعتبارها أرض بكر لنشر الوعي القومي وتبصير الأهالي بما وصل إليه الحال وما ينتظر المسلمين.

إن توطيد العلاقة بين إبراهيم سراج الدين وأحمد المهدوي تطور إلى التفكير جدياً في وضع طرابلس الغرب التي لم تعد بعيدة عن الأطماع الأجنبية الأوروبية لذلك نجد أحمد المهدوي من بين المهتمين لربط العلاقة معه عندما يؤسس إبراهيم سراج الدين جمعية " القراء تخانة " في طرابلس ويعمل فيها في الظاهر كمؤسسة تعليمية ولكن في الباطن كانت خلية سياسية صارت تضع أهالي طرابلس في صورة الأخطار التي تنتظرهم جرَاء تنفيذ المشروع الاستعماري الأوروبي[2] وعندما يكتشف أمر هذه الجمعية وتتهمها سلطات الولاية بالخيانة والفساد وتهييج الأهالي يكون أحمد المهدوي أحـ ـ المتهمين الرئيسيين وتبعث سلطات الولاية إلى متصرفية

---

(1)- الدجاني / اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882-1911).

(2)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

بنغازي أمراً بالتحفظ على أحمد المهدوي ضمن المتهمين كأعضاء في جمعية القراء تخانة بل يتعدى أمر التحفظ إلى آخرين ومنهم:- مصطفى بن يونس كاتب بالمحكمة الشرعية متصرفية بنغازي و عبد السلام أبوهديمة أمين صندوق بلدية بنغازي وجاء أمر التحفظ على هؤلاء بأنه تبين من صلتهم مع إبراهيم سراج الدين الموقوف رهن التحقيق معه عندما تم كشف خلية جمعية القراء تخانة وإتهام إبراهيم سراج الدين بمحاولاته الإفسادية وأنه مرسل من طرف عصابة فساد في مصر، إن ذلك يؤكد بأن إبراهيم سراج الدين قد ارتبط بعلاقة داخلية مع أحمد المهدوي عميد بلدية بنغازي وأن إقامته لدى الأخير تعني توطيد العلاقة والسير قدماً في طريق التوعية للأهالي وتعميق جذور الوعي القومي بينهم[1].

2. وضمن العلاقة الداخلية لإبراهيم سراج الدين تبرز علاقته بالشيخ حمزة ظافر المدني الذي استقبله في طرابلس عندما قدم إليها عن طريق البحر وخصه بالحفاوة والتكريم بالنظر إلى العلاقة القديمة التي ربطت الشيخ حمزة ظافر المدني بوالد إبراهيم سراج الدين المدعو عبد القادر سراج الدين عندما كان الشيخ حمزة ظافر المدني حاجاً في أحدى السنوات، من هذه الحيثيات كان إبراهيم سراج الدين ضيفاً مبجلاً على الشيخ حمزة ظافر المدني الذي أراد أن يستفيد من خبرة إبراهيم سراج الدين الثقافية والصحفية في تطوير وتجديد جريدة طرابلس الغرب إلا أن اهتمامات إبراهيم سراج الدين بتوعية أهالي طرابلس حولته إلى الإهتمام بدور العلم فكانت مدرسة الكاتب[2] أولى المواقع العلمية الثقافية التي دَرَّس فيها إبراهيم سراج الدين

---

(1)- الدجاني – بداية اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882-1911 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى 1977 ص 187.

(2)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس.

اللغة العربية والفقه الإسلامي والشريعة والفلسفة وعلوم أخرى مثل التاريخ والجغرافيا ولا شك أن هذه المنهجية التعليمية التي إختطها إبراهيم سراج الدين ستوثق العلاقة بينه وبين الشخصيات الطرابلسية الأخرى التي رحبت بهذا التطور العلمي واعتبرته أساساً لمزيد من العلم والمعرفة لأهالي المدينة وبذلك تصبح مدرسة الكاتب منارة علمية تستقطب الكثير من الشباب الراغبين في العلم وفي إطار ذلك يستطيع إبراهيم سراج الدين التركيز على الشباب الواعي والملتزم فيأخذهم إلى آفاق جديدة تخدم الولاية وأهلها وتبصيرهم بأوضاع الولاية والأطماع الاستعمارية التي بدأت تسفر عن مشاريعها الخبيثة في الاحتلال والتبعية خاصة بعد سقوط تونس واحتلالها من طرف فرنسا وما صاحب ذلك من تطورات لعل أبرزها هجرة الآلاف من التونسيين الذين كانوا يرغبون النجدة من سلطات الولاية بمساعدتهم ومدهم بالمال والسلاح لمقاومة المحتل الفرنسي[1] ويكون ذلك حصيلة لتأسيس أوَّل جمعية سرية تحت اسم " القراء تخانة " تعمل من أجل إنقاذ الولاية من التخلف والاستبداد الاستعداد لمواجهة التطورات المستقبلية وفي مقدمتها الغزو الأوروبي القادم لا محالة ويكون الشيخ حمزة ظافر المدني ضمن العاملين مع إبراهيم سراج الدين لتعميق الوعي القومي وتشجيع الشباب على إعتراف المعرفة ومتابعة أوضاع الولاية نحو تحقيق التغيير المطلوب الذي يرفع من شأن الأهالي ويعدهم لمواجهة التطورات المستقبلية.

إن العلاقة بين إبراهيم سراج الدين والشيخ حمزة ظافر كانت وطيدة بالنظر لما ربطهما من أواصر المعرفة والمشاركة في النهوض بالمعرفة العلمية بمدرسة الكاتب التي كان الشيخ يديرها ويشرف عليها ومنها تخرج الكثير من الشباب الذين وجدهم

---

(1)- الدجاني – ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي (1882-1911) الفصل التاسع.

إبراهيم سراج الدين جاهزين للعمل القومي فكانوا نواة لتأسيس حركة سرية تحت اسم جمعية القراء تخانة التي نظمها إبراهيم سراج الدين بالتضامن مع الشيخ حمزة ظافر المدني ثم الشخصية المرموقة أحمد النائب عميد بلدية طرابلس الغرب لأنهما سعيا من أجل نشر التعليم والمعرفة من خلال مدرسة الكاتب وفتح مدارس أخرى يمكن أن تستوعب أعداداً من الطلبة كانوا يبحثون عن العلم والمعرفة خاصة بعد أن تخرجوا من الكتاتيب التي حفظوا فيها القرآن الكريم[1] ومبادئ في العلوم الشرعية والمدنية وكان ذلك بدافع أن أهالي الولاية لا مدارس لهم بينما الجاليات الأجنبية كانت تحظى بالعلم والمعرفة في مدارس القنصليات التي كانت في ولاية طرابلس الغرب.

3. علاقته بأحمد النائب:- تأتي علاقة إبراهيم سراج الدين بأحمد النائب عميد بلدية طرابلس الغرب والشخصية الوجيهة بين شخصيات الولاية ضمن علاقته الداخلية وإذا أردنا أن نضع لها تاريخاً فإنها كانت أثناء الزيارة التي قام بها أحمد النائب مبعوثاً من الولاية للتفاوض حول الأوضاع التي آلت إليها تونس جرَّاء الاحتلال الفرنسي مباشرة وما صحبها من هجرة بعض القبائل التونسية إلى المناطق الغربية من ولاية طرابلس الغرب وما سببته من إزعاج للولاية باعتبار أن تلك القبائل لجأت إلى حدود الولاية الغربية طالبة النجدة والدعم والتسليح لمقاومة الاحتلال الفرنسي. ولاشك أن لقاء إبراهيم سراج الدين وأحمد النائب في تلك الظروف المضطربة قد تناول الأوضاع التي إستجدت في بداية الاحتلال الفرنسي[2] وضمن الإستقرار المستقبلي فلا شك أن هذا اللقاء سيكون رصيداً للحوار بين

---

(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي (1882-1911).

(2)- نفس المرجع السابق ص 62-63.

الشخصيتين النائب وسراج الدين وكذلك عندما أقام النائب وليمة في بيته حضرها الشيخ حمزة ظافر المدني، ومحمد كامل مصطفى أحد مستشاري الولاية وشخصيات أخرى من بينهم محمد بالحاج عقيل التاجر بمدينة الإسكندرية والذي تربطه صلة مع أحمد النائب وتتوطد العلاقة بينهما عندما يطرح إبراهيم سراج الدين مشروع القراء تخانة لنشر المعرفة بين أوساط الشباب في طرابلس الغرب[1].

يبدو أن إبراهيم سراج الدين أراد أن يستغل منابر المساجد في إلقاء الخطب الجُمعية التي من شأنها أن تحرك الوعي القومي وتوضح صورة مجريات الأحداث في الولاية في تلك الأثناء لذلك قام بإنشاء خطبة جُمعية كانت غاية في اختيار العبارات والتعبير عما آل إليه الحال عقب احتلال الجزائر ثم احتلال تونس ومصر فكان تعبيره واضحاً عندما جاءت في تلك الخطبة الجُمعية تعبيرات عن الجزائر مضمونها التساؤل عمن جزر الجزائر – ومن سوَّد الخضراء – ومن قلَّص ظل الدولة العثمانية في وادي النيل جاء في الاستنطاق حول تلك الخطبة إن إبراهيم سراج الدين قد قدم تلك الخطبة لأحمد النائب وهذا أعطاها للشيخ بشير إمام جامع الناقة ليخطب بها[2] فخطب بها فكان لها وقع عميق في أوساط المصلين وخاصة وجهاء طرابلس الغرب حتى أنه تجمَّع البعض منهم عقب هذه الخطبة وتدارسوا محتواها واعتبروها خطبة فريدة جاءت من مصر واعتقد البعض أن مثل هذه الخطبة سيخطب بها في الجمعة القادمة فسارع مبكراً لأخذ مكانه في جامع الناقة ولكن يبدو أن سلطات الولاية حالت دون ذلك لأنها بدأت عملية بحث مكثف عن مصدر هذه الخطبة وما

---

(1)- الدجاني – بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي (1882-1911) ص 62-63.

(2)- وقائع محاكمة إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء.

أحدثته من تأثير في أوساط مجتمع مدينة طرابلس لأن صدى الخطبة صار حديث القاصي والداني من المثقفين والعارفين بتطورات الأحداث.

4. علاقة إبراهيم سراج الدين بمحمد المغراوي لما كانت زاوية الشيخ حمزة ظافر المدني محط الرحال لكثير من القادمين من داخل الولاية وخارجها فإن إبراهيم سراج الدين كان من أبرز الشخصيات التي أقامت في هذه الزاوية ثم كانت حركته بَيْنَ مدرسة الكاتب وهذه الزاوية عبر تلك الدروس التي كان يلقيها بين عشرات الطلاب في شتى العلوم، وحدث أن كان محمد المغراوي التاجر والمعروف من قبل الحكومة وبعض الشخصيات الأخرى ضمن الذين زاروا هذه الزاوية وأقاموا فيها بل وكان ضمن ضيوف تلك الوليمة التي أقامها رئيس البلدية أحمد النائب وله علاقة بالشيخ حمزة ظافر المدني بدليل أنه طلب مساعدة من الشيخ المذكور تتعلق بالتوسط له لدى متصرف لواء الخمس لأنه كان متهماً في قضية ما وذلك لمنحه رسالة توصية إلى المتصرف لكي يحقق معه بحال الرحمة والعطف[1].

لقد قام سراج الدين بكتابة رسالة التوصية للمغراوي بناءً على طلب من الشيخ حمزة ظافر المدني حيث جاء ذلك في حديث الشيخ حمزة أثناء التحقيق في قضية إبراهيم سراج الدين، ولا شك أن العلاقة بين إبراهيم سراج الدين والمغراوي قد تطورت خلال إقامته في الزاوية خاصة وأن إبراهيم سراج الدين كان حريصاً على تكوين الروابط وربط العلاقات مع كل من يرى بينهم أنهم سيكونون مصدر عون له فينشر الوعي القومي في الولاية أو يرشدونه إلى الشخصيات والوجهاء الذين لهم

(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882-1911) ص275.

تأثير في أوساط المجتمع وهذا الأسلوب إتبعه داخل السجن سواء في سجن الكوريك أو سجن حوش البوليس[1].

وهذه السجون جميعها كانت في السراي الحمراء بطرابلس ثم تأتي خطبة الجمعة التي أنشأها إبراهيم سراج الدين وسلمها إلى أحمد النائب الذي بدوره أعطاها للشيخ بشير إمام جامع الناقة والذي خطب بها وأحدثت ردود أفعال في أوساط الأهالي حيث أنهم لم يعتادوا سماع مثل هذه الخطبة التي تناولت أوضاعاً سياسية وإجتماعية حتى أن البعض منهم قال عنها أنها مرسلة من مصر بالنظر لما احتوته تلك الخطبة من تعابير كانت جميعها في إطار تنمية الوعي القومي في الولاية وتنبيه الأهال إلى الأخطار التي تواجه الولاية كذلك تأسيس القراء تخانة (الجمعية الثقافية) التي عاضدها الشيخ حمزة ظافر المدني وعميد البلدية أحمد النائب كانت محطة أساسية في بناء العلاقة الداخلية بين إبراهيم سراج الدين ومجموعة الطلبة الذين تتلمذوا عليه عندما كان يلقي عليهم دروساً في اللغة العربية والفقه الاسلامي والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم والتي جعلها ستاراً لتمرير فلسفة تجدير الوعي القومي بين أهالي الولاية من خلال إنشائه لقانون جمعية (القراء تخانة) الذي تكون من عشرين مادة وكل تلك المواد تحمل بين ثنايا سطورها إحياء الروح الوطنية بين أولئك الشباب والشخصيات التي استحسنت تأسيس جمعية القراء تخانة ناهيك عن قانون الفوائد والنصائح والتي تتكامل فيها فكرة أذكاء الوعي الوطني لتحسيس الأهالي بمستقبل الأحداث والتطورات التي تنتظر ولاية طرابلس الغرب وفي مقدمتها الأطماع الأوربية، ثم قانون قراء تخانة عسكري الذي اهتم بوضع العسكرية في الولاية سواءً ضعف التدريب والتسليح أو الأخذ بأسباب

---

(1)- وقائع محاكمة إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

الحداثة في تشكيل الفرق العسكرية وتهيئتها لما تخبأه تسارع الأحداث في شمال إفريقيا.

وضمن علاقة إبراهيم سراج الدين الداخلية تأتي خطته في التعرف على الشخصيات والوجهاء من أهالي ولاية طرابلس في مختلف مدنها ومنها توجيهه رسالة إلى محمد أفندي الأخضر المغربي المقيم بالزاوية الغربية من أربع صفحات بتاريخ ربيع الأول 1308 هـثم رسالة أخرى من أربع صفحات إلى الشيخ محمد أفندي بن عبد الرزاق البشتي بالزاوية الغربية أيضاً.

لقد كانت كلتا الرسالتين اللتين كتبهما وهو في السجن في المرحلة الثانية من نضاله وبعثها مع أحد السجناء ولكن كلا الشخصيتين المذكورتين خافا من نتائج تسلمهما لهاتين الرسالتين فقاما بتسليمها إلى سلطات الولاية وقد ووجه إبراهيم سراج الدين بالرسالتين ولم ينكرهما[1].

كذلك تندرج العلاقة الداخلية لإبراهيم سراج الدين في مصاحبته للشيخ حمزة ظافر المدني ومشاركته في كتابة بعض الرسائل للدواخل ومنها رسائل إلى الشيخ نخونخن قائمام غات والتي رد عليها الشيخ نخونخن بثلاث رسائل وقد طلبت المحكمة في إحدى جلساتها موافاتها لمن كتبت تلك الرسائل وكذلك الإجابة على بعض الرسائل الأخرى وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن إبراهيم سراج الدين ومن خلال علاقاته استطاع أن يتعرف على شخصيات في جنوب الولاية ويربط العلاقات معها في إطار حركة الجمعية وجمع المريدين لمشروع الوعي القومي في الولاية[2].

(1)- وقائع محاكمة إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

(2)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882-1911) ص227.

لقد أكد إبراهيم سراج الدين أن رسائله مع الشخصيات والوجهاء في الولاية بلغت الخمسين رسالة كما جاء في التحقيق منها عشر رسائل أرسلها خارج الولاية وهذه الرسائل بعضها كتبها وأرسلها قبل القبض عليه وسجنه بسجن الكوريك بالقلعة السراي الحمراء بطرابلس والبعض الآخر أرسلها مع السجناء الذين يتم إطلاق سراحهم ويعلم إبراهيم سراج الدين بيوم خروجهم فيقوم بتزويد من وثق بهم من السجناء بتلك الرسائل ولا شك أن هذا الأمر لم يأت جزافاً ولكن جاء من خلال إختيار بعض السجناء الذين ارتبط بهم بعلاقة جيدة خلال حواره معهم في السجن كلما سمحت الفرصة وابتعد حراس السجن عن الأنظار ومن أولئك يوسف عبد الجليل الصيد الذي ارتبط بعلاقة خاصة مع إبراهيم سراج الدين وصار يلازمه كلما سنحت الفرصة ويعرفه على أهم الشخصيات في الولاية ومن بينها سالم المريض في ترهونة حيث أكد يوسف عبد الجليل الصيد لإبراهيم سراج الدين أن هذه الشخصية قادرة على تحريك بلدته وإذا ما طلب من أهل ترهونة أن ينفذوا أمراً فإنهم يستجيبون لأمره فوراً.

لقد تأكدت علاقة إبراهيم سراج الدين بيوسف عبد الجليل الصيد من خلال شهادة السجناء:- على بن رحال، مفتاح الديب، إبراهيم أبوعائشة، صالح الخيتوني[1] حيث جميعهم أكدوا أن إبراهيم سراج الدين تعرف على شخصيات هامة من خلال يوسف عبد الجليل الصيد ثم تأتي الشخصية الهامة التي ارتبطت بعلاقة متينة مع إبراهيم سراج الدين ألا وهو المحامي محمد أبوربعية كموكل على المحابيس فكانت فرصة اللقاء بإبراهيم سراج الدين في إطار هذه المهمة التي يقوم بها لذلك توثقت العلاقة وصارت حركة الوعي القومي في الولاية تنشط داخل أسوار السجن وعندما

(1)- نفس المرجع ص 290-291- 292.

صار التحقيق حول هذه العلاقة بكل من يوسف الصيد ومحمد أبوربعية أنكر إبراهيم سراج الدين علاقته بهما وكذلك فعل كليهما.

هكذا يتأكد أن حركة إبراهيم سراج الدين في إيقاض الوعي استمرت من داخل السجن ووجدت لها مريدين بل كانت لها إنعكاسات في كثير من قطاعات الولاية مثل ترهونة ومصراتة والزاوية الغربية وزوارة وزليتن وغيرها وكانت نتائجها قد ظهرت في حرب البرقيات التي تفجرت بين الوالي أحمد راسم باشا والأهالي، تلك البرقيات التي أحدثت ضجة في إسطنبول ودفعت الوالي بأن يضغط على الشخصيات الرسمية لتكذيب تلك البرقيات التي أرسلت إلى إسطنبول[1].

ب- علاقاته الخارجية

تأتي العلاقات الخارجية لإبراهيم سراج الدين من خلال كونه بائع أو تاجر للكتب منذ خرج من مكة المكرمة وقصد مصر التي أقام فيها وتعرف على بعض الشخصيات فيها خاصة وأن الحركة الوطنية المصرية كانت تشهد نشاطاً ملحوظاً في تلك الآونة ضد النفوذ الإنجليزي الفرنسي وخضوع الخديوي إسماعيل ثم توفيق، لذلك النفوذ الإستعماري ولعل أبرز العلاقات التي أقامها إبراهيم سراج الدين كانت مع الشخصيات المصرية صاحبة المكتبات والمؤلفات حيث وطَّد معها العلاقة واشترى كثيراً من الكتب تحرك بها إلى الهند بالتحديد إلى مدينة بومباي وغيرها من المدن حيث باع الحصيلة من الكتب واشترى كتباً من الهند ونقلها إلى مصر وباعها وبذلك استطاع إبراهيم سراج الدين أن يوسع علاقاته مع كثير من الشخصيات المصرية الهامة والتي كانت تتحرك في إطار حركة الإصلاح في مصر والعمل على مواجهة المخططات الانجليزية الفرنسية ومن بين تلك الشخصيات التي ارتبط بها

(1)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881- 1911 منشورات جامعة بنغازي 1964.

:- محمـود سامي البارودي، أحمد عرابي، عبدالله فكري، على صادق، مصطفى فهمي، عبد الله النديم، حسن شريعي[1]. فقد عايشهم وعاش نشاطهم السياسي والنضالي ضد التآمر الإنجليزي الفرنسي على استغلال مصر وحاول تبصير الجماهير بما يبيت لمصر من مخططات إستعمارية عبر عمليات الإحتواء بين إسترخاء السلطان ومخاذلة الخديوي توفيق الذي وجد نفسه لا يستطيع الحفاظ على نظامه إلا بإتباع إملاءات الإنجليز والفرنسيين كذلك بنى إبراهيم سراج الدين العلاقات الخارجية مع شخصيات في الجزائر عندما أقام هناك خمسة سنوات يتأجر في الكتب حيث كانت له مكتبات في قسنطينة والجزائر ومن خلالها تحرك في إطار نمو الوعي القومي في الجزائر بصورة خفية لكن السلطات الفرنسية فاجأته بحركة تحريات على كل مشرقي يدخل الجزائر وفي بعض الأحيان يلقون بكل مشرقي في السجن حتى يتم التحري عنه ويحيطونه بالجواسيس لمعرفة تصرفاته وطالت هذه الإجراءات إبراهيم سراج الدين[2] حيث إعتبرته السلطات الفرنسية أنه قادم للجزائر بغرض التحريض على الثورة ضد فرنسا فطردته من الجزائر ومنعته من دخول تونس وحتى المغرب ولولا شفاعة أكثر من مائة شخصية جزائرية شهدت لإبراهيم سراج الدين بحسن السيرة والسلوك أثناء إقامته بالجزائر لكان مصيره السجن.

إن وقوف مائة شخصية جزائرية في صف إبراهيم سراج الدين يعني أنه ربط العلاقات معها واستطاع أن يحرك فيهم جذوة النضال ضد المستعمر الفرنسي ولعل ذلك تمثل في ثورة الشيخ محمد أبو عمامة الذي فجر ثورة ضد الفرنسيين في الجزائر وساند إبراهيم سراج الدين تلك الثورة وكتب عنها في جريدته الحجاز بل وطالب

---

(1)- لورد كرومر – الثورة العربية – الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة / الطبعة الأولى 1958 ص96-98.

(2)- أوراق ملف قضية إبراهيم سراج الدين - دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

سلطان المغرب أن يدعم المناضل أبو عمامة الذي إضطرته ظروف النضال ليلتجأ إلى المغرب بألا يسلمه إلى السلطات الفـرنسية التي طالبت بتسليمه[1].

كذلك إرتبط إبراهيم سراج الدين بعلاقة مع الشخصية الهامة في تونس وهي شخصية المفتي أحمد خوجة الذي وطّد العلاقة به في إطار حركة الوعي القومي عندما إتخذ إبراهيم سراج الدين مكانيين لبيع الكتب في تونس أحدهما في مدرسة الشماعيين والأخرى بفندق تجاري بسوق العطارين وكان إبراهيم سراج الدين يتحرك بين الجزائر وتونس فيلتقي المفتي أحمد خوجة ويضعه في صورة ما يحدث في الجزائر وعندما طردته السلطات الفرنسية في الجزائر شعر إبراهيم سراج الدين بأن فرنسا تعد العدة لغزو تونس نقل هذا الخبر إلى المفتي أحمد خوجة ليكون في صورة التطورات التي ستشهدها تونس في أيام قليلة ولم يشأ أن يكون ضيفاً على المفتي أحمد خوجة لخوفه من إلحاق الضرر به بالنظر إلى وجود الجواسيس الفرنسيين في تونس لذلك نجده يسارع إلى السفر إلى مالطا ثم إلى مصر ليقيم فيها إقامة دائمة حيث يشرع في إصدار جريدة الحجاز التي تكون لسان حركة الوعي القومي في البلاد العربية[2].

جـ - علاقة إبراهيم سراج الدين بالقناصل

لقد أثارت سلطة ولاية طرابلس أثناء محاكمة إبراهيم سراج الدين قضية إتصاله بقنصلي إيطاليا وإنجلترا وعلاقته بهما وهما الدولتان اللتان تتعارض سياستها مع توجهات إبراهيم سراج الدين لأن كلا الدولتين إيطاليا وإنجلترا تحالفتا في عملية الغزو والاحتلال.

---

(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882- 1911) ص20- 21.

(2)- لورد كرومر – الثورة العربية – ترجمة أحمد عرابي ص92.

إن كل الشواهد وكوامن الأمور تؤكد أن إبراهيم سراج الدين داعية إصلاح وناضل لإنقاذ بقية الولايات العربية من السقوط في الشرك الإستعماري وهذه هي المهمة التي جاء إبراهيم سراج الدين من أجلها إلى ولاية طرابلس الغرب بإعتبارها أصبحت مهددة بالغزوة الأوربية القادمة لا محالة.

لذلك فإن إبراهيم سراج الدين لا علاقة له بالتدخل مع الأجانب وخاصة قناصل الدولة الأجنبية ومن باب أولى قنصلي إيطاليا وإنجلترا كما حاولت سلطة الولاية في طرابلس الغرب اتهامه بذلك حيث جاء في التحقيق معه أنه بعث برسالة إلى قنصل إيطاليا في طرابلس وجاء برسالة من قنصل إنجلترا في بنغازي إلى قنصلها في طرابلس إلا أن إبراهيم سراج الدين نفى ذلك كلياً كما نفى ذلك الشيخ حمزة ظافر المدني أثناء التحقيق معه[1].

جاء في حديث إبراهيم سراج الدين أثناء التحقيق معه ما يلي :-

(أنا لست إنجليزياً ولا طليانياً ولا فرنساوياً ولو كنت إنجليزياً لما خرجت من مصر حين دخول الإنجليز إليها فإنه كان يجب على أن أشاركهم السرور عند دخولهم إليها، ولو كنت رجلاً إيطالياً لكنت محمياً من الدولة الإيطالية فإني لو أردت أن أظهر حمايتي بأي دولة كانت لأظهرت الحماية في أي مدينة كانت ولكنني رجل ذو دين وأعد نفسي أنني يا إخواني من أهل ديني ومن أهل لغتي ودولتي في عز لا أحتاج معه إلى عزة الأجانب، ولو كنت رجلاً فرنساوياً لما كان يظهر من كلامي السابق بعض اللوم على الفرنساويين في بعض سياستهم وسيرتهم في الجزائر وتونس، وهذا المكتوب هو من جملة الأوراق الكثيرة التي طال عهدي اليوم بالكلام فيها وعليها فأنا اليوم لا

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات – السراي الحمراء طرابلس.

يمكنني أن أنسبه إليَّ)[1] إضافة إلى ما تقدم فإن الوثائق الفرنسية والإنجليزية والإيطالية لم يوجد فيها ما أثير حول علاقة إبراهيم سراج الدين بهذه الدول أو أنه إتصل بالقناصل الأجانب أو تدخل معهم في شأن الولاية من بعيد أو قريب.[2]

وهكذا فإن إجابات إبراهيم سراج الدين أثناء التحقيق معه تؤكد بأنه لا صلة له بالقنصلية الإيطالية والإنجليزية مطلقاً والحقيقة أن الاتهام بالإتصال ومداخلة الأجانب صار وسيلة للإتهام، والقناصل أنفسهم كان لهم دور في إلصاق التهم بكل وطني حر.

علاوة على ذلك ومن خلال التحقيق الذي جرى مع إبراهيم سراج الدين سواءً في القضية الأولى "تنظيم الجمعية" أو القضية الثانية تحركه من داخل السجن كان صريحاً فيهما وقال الحقيقة ففي القضية الأولى إعترف وقال فعلتها فأقضوا ما أنتم قاضون عندما استأنف التحقيق معه بعد عشر سنوات قضاها في السجن، أما في القضية الثانية فإنه غطى تحركه في عملية إيقاض الوعي القومي ضد الغزو الأوروبي القادم لا محالة بادعائه أنه مأمور بالقيام بذلك من طرف روحاني فألصقت سلطات التحقيق بإبراهيم سراج الدين ادعائه المهدوية أي أنه الإمام المنتظر وهذه التهمة كثيراً ما ألصقتها الدولة العثمانية بالمناضلين الذين قادوا حركة الإصلاح وتنمية الوعي الوطني والقومي فقد إتهم أحمد المهدي بالإمام المنتظر عندما فجر الثورة المهدية في السودان 1882 ضد الحكم الثنائي الإنجليزي المصري.

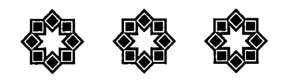
---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات – السراي الحمراء طرابلس.

(2)- محمود الديك، قراءة جديدة في قضية إبراهيم سراج الدين 1882 – 1892 الشهيد العدوان الثاني عشر والثالث عشر مركز جهاد

الليبيين للدراسات التاريخية- طرابلس 1991 – 1992 ص 61-83.

وهكذا يتأكد من خلال التحقيقات التي أجريت مع إبراهيم سراج الدين بأنه ليس هناك أدلة ثابتة لهذه التهمة، مما يؤكد أن هذه التهمة ملفقة وقد تكون تم ترتيبها داخل سجن الكراكه أو سجن حوش البوليس من قبل شخص يدعى عمر أفندي كانت بحوزته محبرة وأقلام ويبدو أن عمر بك إستطاع أن يحصل على صورة من خط إبراهيم سراج الدين فقلد خطه فأتهم بالرسالتين الآنفة الذكر، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تزوير الوثائق ضد المعتقلين صار حتى يومنا هذا معمولاً به داخل السجون والمعتقلات[1].



(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882-1911) ص20- 21.

الفصل الرابع

النشـاط السياسي لإبراهيم سراج الدين

⋆ المبحث الأول: المنتدى الوطني ومريديه.

⋆ المبحث الثاني: القضايا التي تمت معالجتها بالمنتدى الوطني.

⋆ المبحث الثالث: محاكمة إبراهيم سراج الدين وأتباعه والنتائج التي ترتبت عليها.

⋆ المبحث الرابع: إستعراض للتحقيق الذي أجري مع إبراهيم سراج الدين وأعوانه.

المبحث الأول

تكوينه المنتدى الأول في ولاية طرابلس الغرب

يبدو أن الاهتمامات المشتركة بين إبراهيم سراج الدين وكل من الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب وعميد البلدية أحمد النائب قد أتت أكلها عندما صار الطلب إلى تأسيس جمعية ثقافية باسم (منتدى قراء تخانة) لأهالي ولاية طرابلس الغرب[1].

لذلك بدأ السعي في تأسيس منتدى القراء تخانة أو الجمعية الثقافية بلقاءات وحوارات بين المهتمين بهذا الشأن وكان لأسلوب إبراهيم سراج الدين أثره في إقناع من اجتمع بهم وعرض عليهم مشروع الجمعية الثقافية وأخذت الفكرة قوتها من دعم وإسناد الشيخ حمزة ظافر المدني وعميد البلدية أحمد النائب وحدث أن عقد اجتماع بين شخصيات عدة من أعيان طرابلس فاستحسنوا عقد وتأسيس تلك الجمعية الثقافية فقام عميد البلدية « أحمد النائب وقال أنا أدفع لهذه الجمعية ابتداءً ثلاثة آلاف قرش ونهض إبراهيم أفندي منصور وقال أنا أدفع 1500 قرش. وتكلم كل بما يقدر على دفعه وتوالت التبرعات لتأسيس الجمعية الثقافية التي ستكون أول مدرسة حديثة مهمتها إدخال العلوم الحديثة، بقي السعي للحصول على الرخصة لفتح هذه الجمعية وهذا سيكون سعي أحمد النائب عميد البلدية والشيخ حمزة ظافر المدني اللذين التقيا وتخاطبا مع الشيخ محمد كامل أفندي بن مصطفى أحد أعضاء مجلس

(1)- مجموعة أوراق ملف قضية إبراهيم سراج الدين –دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس 1883.

إدارة الولاية في شأن تأسيس الجمعية الثقافية فاظهر استحسانه وأنه يأمل الإعلان عنها في القريب العاجل[1].

ويظهر أن إبراهيم سراج الدين أراد استعجال الحصول على الرخصة من سلطة الولاية فسأل أحمد النائب عن موعد الحصول على الرخصة فأجابه بأنه استشار حضرة الوالي في إنشائها فلم تبدو منه معارضة اعتمد الشيخ حمزة ظافر المدني على خبرة إبراهيم سراج الدين ليقوم بالتدريس في مدرسة الكاتب وليعطي للطلبة مواد التاريخ والجغرافيا والعلوم واللغة العربية والحساب فانخرط الشباب في جمعية القراء تخانة وكان من بينهم: ـ

1 ـ محمد العارف 19 سنة وحرفته كاتب ضبط بالمحكمة البدائية[2].

2 ـ مصطفى القلالي21 سنة وحرفته كاتب ضبط بالمحكمة البدائية.

3 ـ إبراهيم مصطفى باكير26 سنة دارس للعلم.

4 ـ عبد الكريم أفندي باشن كاتب بمحكمة البداية.

5 ـ محمد البوصيري الساعاتي طالب علم.

6 ـ على الإزمرلي طالب علم.

7 ـ إبراهيم الأزمرلي طالب علم.

8 ـ إبراهيم بن الشيخ طالب علم.

9 ـ محمد الباهي طالب علم.

10 ـ سليمان العلاقى طالب علم.

11 ـ محمد عويدان طالب علم.

---

(1)- نفس المصدر.

(2)- الدجاني بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882- 1911 ص199.

صار إبراهيم سراج الدين يلقي الدروس في العلوم التي سبق ذكرها في مدرسة الكاتب الكائنة بزنقة الريح بالمدينة القديمة واجتمع له نفرٌ كثير من الطلبة بعد أن ذاع خبر الجمعية الثقافية وبعض الدروس كان يلقيها على الطلبة في محل نومه في البيت الكائنة بين مدرسة الكاتب وحمام درغوت وصار التركيز على علم التاريخ الجغرافيا.

أ ـ التاريخ لتبصير الطلبة بتاريخهم التليد لغرس القيم والفخر بأمجاد الأمة العربية الإسلامية في إطار تعميق الوعي القومي والتبصر بالواقع المعاش وإمكانية التطور إلى الأفضل من أجل معايشة الأحداث التي تحيط بالولاية.

ب ـ الجغرافيا لتعريف الطلبة بموقع الولاية والأقطار التي تحيط بها في إطار التعرف على المناطق والمواقع والمدن ضمن النشاط الذي سوف تضطلع به الجمعية الثقافية مستقبلاً[1].

إلى جانب ذلك بدأ إبراهيم سراج الدين يُسيِّسُ الطلبة من خلال توعيتهم وتبصيرهم بما يحدث حولهم وعلى حدود الولاية سواء كانت الغربية أو الشرقية. فالغربية وضعهم في صورة التوسع الفرنسي للزحف على تونس وفي الشرقية ما يحصل في مصر من تدخل بريطاني وفرنسي سَافِرٌ في شؤونها في عهد الخديوي توفيق الذي خضع للإشراف الإنجليزي الفرنسي على شؤون مصر وخاصة المالية منها من خلال اللجنة الثنائية الإنجليزية الفرنسية.

ذاع صيت الجمعية الثقافية بين أوساط الأهالي وخاصة الشباب منهم فانطلقوا إليها يغترفون ما يلقيه إبراهيم سراج الدين من الدروس المختلفة وصار لها أصدقاء

---

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين ورفاقه مستنطق عربي أصلي دار المحفوظات السراي الحمراء 1883.

ومريدين، ووضع للجمعية نظام للاطلاع و حضور الدروس[1] ففي الليل لقراءة كتب الجغرافيا والتاريخ والنظامات العدلية والكتب الأخرى المفيدة والتركيز على الجغرافيا والتاريخ هنا يعني معرفة المناطق ومدن الولاية والتعرف على أحوالها وإمكانية نشر العلم والثقافة بين سكانها في إطار حملة التعليم ونشر الوعي القومي لدى الأهالي وفي النهار للاطلاع وقراءة الصحف والجرائد التي كانت تأتي من مصر وبيروت والأستانة وكان أحمد النائب هو الذي يجمع للجمعية الثقافية هذه الصحف باعتبارها تأتي إليه منتظمة وساهم في ذلك أيضاً الشيخ حمزة ظافر المدني بحكم مركزه الرسمي والاجتماعي وكان الاطلاع على الصحف والجرائد في النهار للتغطية من المراقبة[2].

سار إبراهيم سراج الدين على هذا المنوال حتى اجتمع له شباب كثيرون رأى فيهم ذخيرة لنشر الوعي القومي لما يحيط بالأمة من أخطار قريبة وبعيدة، وحيث أن الجمعية قد أخذت صفتها الرسمية رتب لها قانوناً أسماه قانون «القراء تخانة» والجمعية الثقافية الداخلي وبّوبه في سبعة موادْ وهي:

1 ـ رسم الدخول في القراء تخانة «الجمعية الثقافية» مائة قرش ثم في كل شهر يدفع كل واحد قيمة مشروبه وعشرين قرشاً لشراء الجرائد الخبرية والعلمية وبعض الكتب المفيدة ولشراء أوراق وظروف وحبر وأقلامَ تكون مباحة لكل من يريد الكتابة ولشراء القاموس السنوي المسمى خمسمائة ألف عنوان.

---

(1)- لورد كرومر – الثورة العربية ترجمة عبدالعزيز عرابي ص104– 105.

(2)- نيكولاي ايليتش بروشين تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16 حتى مطلع القرن 20 ترجمة وتقديم عماد حاتم- دار الكتاب الجديد

المتحدة بيروت – لبنان الطبعة الثانية 1999 ص358- 359.

2 ـ لا يمكن صرف شيء فوق العادة من صندوق القراء تخانة «الجمعية الثقافية» إلا بعد قرار أغلب أعضاء الجمعية وكذلك لا يمكن دخول أحد في الجمعية إلا بعد قبول الجميع له[1].

3 ـ اجتماع القراء تخانة يكون في الليل والنهار، أما في الليل فلقراءة بعض الكتب المفيدة لاسيما كتب الجغرافيا والتاريخ والنظامات العدلية.
أما في النهار فلقراءة الصحف والمجلات.

4 ـ لا يسوغ لأحد في القراء تخانة أن يتكلم في أشياء خصوصية لأنها ربما توجب المشاحنة ولأنها في الغالب لا تفيد وهي السبب الداعي للملل وفساد الجمعيات.

5 ـ يعين للقراء تخانة بالقرعة أو بالانتخاب الأكثر، رئيس وكاتب وأمين صندوق ومدة كل منهم ثلاثة أشهر ثم يجدد الانتخاب ومن وظائف الرئيس المحافظة على القانون وضبط المحاسبة.

6 ـ على القهوجي أن يمنع من لم يكن في الجمعية وللأعضاء أن يدخلوا من أراد ولمدة ثلاثة أيام وبعدها يجب استئذانهم من رئيس الجمعية وكذلك يجب على القهوجي حفظ الكتب والجرائد منمَّرة أما قيمة ما يشربه الضيوف فهي مضاعفة.

7 ـ إذا اتفق أعضاء الجمعية على زيادة مادة أو نقص مادة من هذه المواد فعلى الرئيس أن يكتب المادة ويعرضها على كافة الأعضاء للتصديق عليها بكتابة أسماءهم تحتها ثم أردف ذلك بتعليمات أسماها «فوائد ونصائح خيرية» وتتكون من عشرين فائدة وهي: ـ

أولاً:-إذا دخل عضو جديد في الجمعية يجب على أعضاء الجمعية أن يتخذوا ليلة احتفال لدخوله يهنئون أنفسهم به ويتناصحون بينهم ويظهرون فائدة الاجتماع.

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

ثانياً :-إذا غاب أحد أعضاء الجمعية أكثر من يومين يجب على الأعضاء في الجمعية أن يسألوا عنه وإذا مرض أحدهم يجب عليهم عيادته وكذلك إذا أصابته ملمة يجب عليهم مساعدته.

ثالثاَ:-يجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يأتي كل ليلة بخبر داخلي وخارجي يلقيه على إخوانه عند اجتماعهم.

رابعاً :-يجب أن تعزم بعض رؤساء طائفية من الطوائف في كل أسبوع مدة واحدة وفي ليلة العزومة يلقى كل واحد خطاباً في فضل تلك الطائفة ولوازم انتباهها وتقدمها ومساعدة الجمعيات الوطنية لها حتى يحصل بذلك التنبّه لأرباب الحرف والصنائع الوطنية.

خامساً:-يجب على الجمعية أن تنسب كافة مساعيها الخيرية لمن تختاره من رؤساء البلاد ليحصل على مساعدته وسعيه في نجاحها

سادساً:-يجب على الجمعية أن تستسهل كل صعب حتى تكثر الجمعيات في البلاد بحيث تجعل غرضها المقصود تكثير جمعيات في الولاية فإذا أكثرت الجمعيات وحصلت المناظرة والمسابقة بينها إلى فعل الخير تكون قد وصلت إلى الدرجة المقصودة التي لا صعوبة بعدها.

سابعاً :-ينبغي لأعضاء الجمعية أن يعتبروا القبائل البدوية بمنزلة جمعيات ظلت عن الطريق المقصود فلذلك يجب عليهم إرشادها وإدخال بعض إصلاحات وتعديلات في قانون ارتباطها المحكم.

ثامناً :-يجب على الجمعية أن تجعل تسعة أعشار خدمتها للوطن في داخل البلاد والعُشرُ في داخل المدينة المحروسة وذلك للتعمية على أعداء الوطن الموجودين بكثرة

تاسعاً :-يجب على الجمعية ألا توضّح عن ما أرادته وإنما تظهر أن مرادها بفعلها دفع مضرة تعود على الأجانب والوطنيين.

عاشراً :-يجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يعلم كل من له طمع في بلادنا ولاسيما تصرفات الجمهورية الفرنساوية في تونس والجزائر.

إحدى عشر :-يجب على الجمعية إكرام بعض الأجانب الذين توافق مصلحتهم مصلحتنا بحيث يمكن لها أن تتخذ أصدقاء في أوروبا وغيرها تراسلها ويراسلونها.

إثنى عشر :-يجب على الجمعية أن تحتفل بكل عزيز قوم من أهل الدواخل للتوارق والسودان وما أشبههما لأجل أن تحصل المودة والارتباط المطلوب.

الثالثة عشر :-يجب على الجمعية أن تسعى في السياسة والكياسة إلى أن ترى أموال اليهود والنصارى برأي محبي الخير الوارد في الأعمال النافعة.

الرابعة عشر :-لا يتم حسن حال الوطن إلا بعد إصلاح المكاتب الأهلية وإدخال كافة أطفال الأهالي فيها بالطريقة الجبرية كما هو جار في غيرها وكذلك لا يتم تحسين الحالة إلا بإنشاء مدارس عالية كالمدارس الطبية والعسكرية والهندسية والإدارية فلذلك يجب على الجمعية أن تسعى في ذلك وفي إنشاء مدرسة عمومية للصنائع على اختلاف أنواعها. ـــ

الخامسة عشر :-هذا القانون الداخلي لا يطلع عليه إلا من كان من أعضاء الجمعية والإطلاع عليه يكون في ليلة الاحتفال به ويحلف ألاّ يبوح إلاّ لأعضاء جمعية وطنية أخرى ويحلف على كتمه ولا يبوح به لجمعية أخرى إلا بإذن جمعيتنا هذه ويحلف أيضاً أن يحافظ على السير بمقتضاه[1].

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء 1883.

السادسة عشرة :-يجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يظهر لإخوانه تمام الغيرة على وطنه ودينه وجنسه ولغته وعلى نساء المسلمين وأطفالهم وأموالهم وعوائدهم وشرفهم الذي عبث به الزمان وإظهاره تمام الغيرة على كل ما ذُكر في أقواله وأفعاله لأجل تنشيط أخوانه إلى المسارعة في فعل الخيرات.

السابعة عشر :-يجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يعتقد بأن قيامه بهذه الفوائد والنصائح انتصار لله الذي تعطلت أحكامه أستثقل كلامه وكذلك يجب عليه أن يعتقد أن من لم يقم بها يبوء بخزي في الدنيا وعذاب سرمدي في الآخرة.

الثامنة عشر :-ينبغي لأعضاء الجمعية أن يعلموا حق العلم أن الجرائد هي التي تحرك الدول وتسكنها فيجب عليه مطالعتهم ومواجهتها في الأمور التي تجب المراجعة فيها وحيث كانت ولاية طرابلس خالية من الجرائد فيجب عليهم أن يعتبروا جرائد الآستانة العلية بمنزلة جرائدهم الوطنية فينشرون فيها ما أرادوا. مما في نشره النفع العمومي.

التاسعة عشر :-لما كانت جرائد الآستانة غير كافية بمعرفة الأخبار فيجب على الجمعية أن تتخذ مراسلين خصوصيين فيها يخبرونها بكل ما يحدث مما لم تذكره الجرائد.

العشرون :-يجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يدعو دائماً للحظرة الشاهانيه بالتوفيق ودوام العز والإقبال.

بهذه الفوائد الخيرية نظم إبراهيم سراج الدين الاجتماع والعمل داخل الجمعية الثقافية «القراء عامة» فأصبحت لائحة داخلية تنظم العمل والنشاط بين أعضاء الجمعية وتحرضهم للعلم والمعرفة والتبصر في الأمور التي تجري في الولاية لكي يكون الجميع على علم بذلك وبهذا الأسلوب ينمو الوعي القومي لدى أعضاء

الجمعية فتكون الفائدة قد عمت ولم يقتصر نشاط الجمعية على العملية الثقافية والتعليمية ولكنه تعداه إلى النظر في أوضاع الولاية الأمنية والدفاعية سيما وأن المؤامرات الاستعمارية عبر وجود القناصل كانت تحاك وترتب الأوضاع لمراحل مستقبلية وكما هو معروف فإن التنسيق الاستعماري وخاصة بين قناصل فرنسا وإنجلترا وإيطاليا صار في أوجه وبدت للأهالي مظاهر ذلك فيما بعد[1].

تتمة لتنظيم علم جمعية القراء تخانة من النواحي الإدارية والتنظيمية والاستقطابية والارتقاء بالعمل الشعبي النضالي إلى مراتب متقدمة صاغ إبراهيم سراج الدين نظام القانون العسكري وسماه «صورة نظامنامة العسكرية».

يتكون هذا القانون من سبعة مواد وهي:-

المادة الأولى:

لما كان وجود الضباط الكرام في مدينة طرابلس بكثرة وكان انتشارهم في أطرافها في غير شغل مما يستدعي دقة النظر خوفاً من وقوع نظير ما وقع غير مرة من المحذور، ناسب أن تخصص مجامع يجتمعون فيها في سائر الأوقات لمطالعة بعض الجرائد الحربية وللمذاكرة في فنونهم التي تجب المذاكرة فيها.

المادة الثانية:

يدفع كل ضابط من رتبة ملازم أول فما فوق في كل شهر نصف مجيدي[2] لشراء بعض التواريخ العثمانية وترتيب بعض الجرائد الحربية.

---

(1)- الدجاني ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882- 1911 ص59.

(2)- مجموعة أوراق قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

المادة الثالثة :

يعين من الضباط الكرام لكل مجمع رئيس ونائب رئيس وكاتب وأمين صندوق وهذا التعيين إما أن يكون بالقرعة أو بالانتخاب والحكم للأغلبية.

المادة الرابعة :

الاجتماع في هذه المجامع يكون في الليل ولا يجوز لأحد غير الضباط أن يدخل إلا إذا كان في صحبة سعادة الفريق وبإذنه وأمّا الضباط الذين هم من غير أرباب المجمع فإنهم يدخلون بإذن رئيس المجمع ولكن تحسب عليهم قيمة ما يشربونه مضاعفة.

المادة الخامسة :

يخصص لكل مجمع قهوجي يدير الأشربة على أتقن صنع وأتم انتظام بأثمان رخيصة وعليه أن يحفظ الجرائد وغيرها.

المادة السادسة :

تقسم الفنون الحربية التي يجب المذاكرة فيها إلى مسائل منمَّرة وفي كل خمسة عشرة يوماً يقترع الضباط على تلك المسائل فكل مسألة تطلع لضباط يجب عليه مراجعتها وإلغائها قبل مضي خمسة عشرة يوماً على إخوانه في وقت اجتماع أكثرهم اجتماعاً معيناً.

المادة السابعة :

لما كانت هذه المجامع مجامع مطالعة ومفاكهة فمن لواجب أن تكون المذاكرة فيها على مسائل علمية وأمور عمومية وأما المباحثات الخصوصية والمسائل

الشخصية فإنها السبب الداعي إلى الملل وفساد الجمعيات فلذلك ممنوع التكلم فيها في مثل هذه المجامع النافعة[1].

بهذه البرامج الثلاثة التي أنشأها إبراهيم سراج الدين لنشر العلم والمعرفة وتأسيس القراء تخانة «الجمعية الثقافية» وإصدار القانون العسكري أو ما أسماه نظامنامه العسكري. نستطيع أن نقول أن إبراهيم سراج الدين تدرج في عملية الإصلاح في الولاية بالعملية المعرفية ثم التنظيمية ثم الالتفات إلى الوضع العسكري الذي لا أعتقد أنه أراد أن يُنشئ فصائل عسكرية ولكنه تقدم بجهد ينصح بضرورة تنظيم الوضع العسكري في الولاية خاصة وأن الولاية أصبحت تعيش حالة من الترقب فيما ستأتى به الأحداث في إطار التوسع الاستعماري الفرنسي الإنجليزي الإيطالي.

فهو نصح بضرورة الاهتمام بالعسكر وعدم تركهم مجاميع بدون انضباط واهتمام من حيث المعرفة العسكرية هذا ما كان قد اجتهد به إبراهيم سراج الدين في الشأن العسكري وكان هذا الاجتهاد علناً ولم يخفيه بل يعتبره اجتهاداً للاهتمام بعسكرية السلطة العثمانية ليس داخل ولاية طرابلس الغرب وما تنتظره من مفاجآت ولكن يريده أن ينتشر في كل الولايات العثمانية بالنظر للأطماع الاستعمارية الأوروبية بل هو يصرح بأن ما وضعته من نظامنامه عسكرية كان بمشورة رئيس العسكر في الولاية حيث سلم نص القانون العسكري ليعمل به أولاً وفي رواية أخرى يقول إبراهيم سراج الدين أن برنامج القانون العسكري استوحاه من الجزائر من العلوم العسكرية وعندما وجد العسكر العثماني في الولاية متجمعون في

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين ورفاقه مستنطق عربي أصلي دار المحفوظات السراي الحمراء 1883.

الشوارع دون نادٍ يجمعهم طرقت الفكرة في رأسه وكتب هذا القانون العسكري ذي السبعة مواد وبعلم رئيس العسكر في طرابلس، وهناك شخص يدعى حسن المبروك يبدو أنه كان على علاقة بالفريق أقنع إبراهيم سراج الدين بأن يعطيه ذلك القانون العسكري ليسلمه إلى سيادة الفريق. إن هدف إبراهيم سراج الدين من تنظيم القانون العسكري أنه يعلم أن هناك ضباط وصف ضباط من العرب الليبيين أنفسهم لذلك كان هدفه أن يتعلم الضباط الطرابلسيون الفنون العسكرية ويطوّرون معلوماتهم ويشير إبراهيم سراج الدين إلى أن هناك تدريبات وتنظيمات عسكرية في أوروبا فلماذا لا تكون في ولاية طرابلس الغرب ترتيب وتنظيم من سلطة الولاية للعسكريين ثم يسال لماذا التوهم والخوف من إنشاء قراء تخانة عسكرية في طرابلس وسكانها لا يتعدى نصف سكان إسطنبول[1] استمر إبراهيم سراج الدين في تثقيف الشباب الذين اجتمعوا له وصاروا وأعضاء في جمعية القراء تخانة وطلب منهم أن يتحالفوا ويحفظون السر بينهم ولا يفشون ما يقدم لهم من دروس ونصائح وخاصة ما يتعلق بوضع الولاية والتآمر الاستعماري لتنفيذ عملية الغزو كما حدث في تونس ومصر، وطلب منهم أن يحلفوا على القرآن الكريم بحفظ أسرار الجمعية الثقافية وما يزوده بهم من أخبار ومعلومات فاستجابوا له وواضبوا على حضور الدروس في مدرسة الكاتب.

لقد اختط إبراهيم سراج الدين في علمية تنمية الوعي القومي في الولاية طريقيتن:-

1- طريقة عامة للتثقيف والدراسة وتنمية عناصر المعرفة لدى الشباب وهذا صار لها جمع كثير حتى من أبناء الأهالي الذين كانوا متعطشين للمعرفة والعلم وكان وضع

---

(1)- مجموعة أوراق قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

الجهل في الولاية يشجع على ذلك إضافة إلى أن إبراهيم سراج الدين لم يتقيد بوقت أو مكان لإنجاز المهمة المعرفية سواءً في الليل أو النهار في مدرسة الكاتب أو في البيت الذي يقيم فيه بجوار المدرسة.

2ـ طريقة خاصة اختار فيها صفوة الشباب الذين صقل إمكاناتهم المعرفية ووضعهم في عملية اختبار لإنجاز العملية التنظيمية التي ستبني التنظيم السري والذي سيكون مهتماً بأوضاع الولاية ومتابعة الأخبار فكلف ثلاثة منهم بمتابعة الحركة الإدارية في الولاية والحصول على أخبارهم التنظيمية[1] وثلاثة يتابعون حوادث البر من متصرفين وقائمي مقامات ومديرين وثلاثة يحرضون الناس على شراء السلاح.

إن هذه المهام الثلاثة تندرج ضمن اهتمامات التنظيم وتؤكد أن العمل السري للتنظيم قد بدأ ينشط في أوساط الأهالي ولكن في صيغة متابعة الأحداث وتجلي الرؤية لمزيد من التوعية بما يجرى داخل الولاية وخارجها وخاصة متابعة حركة القناصل وتصرفاتهم التي بدأت تُنبئُ بالتدخل في شؤون الولاية والاستعانة بالأجانب في الجاسوسية لمصلحة الدول الاستعمارية الثلاث فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وقد كان لليهود في هذا الشأن دور ملحوظ. إضافة إلى محاولة استقطاب بعض الأهالي والأعيان تحت ما يسمى بعملية الحماية والتي صارت مشاعة حتى أن كثيراً من المثقلين بالضرائب أو التضييق عليهم صاروا يطلبون حماية الدول الأجنبية ويتمتعون بجنسياتها وهذا وقف له أعضاء الجمعية بالمرصاد.

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين ورفاقه مستنطق عربي أصلي دار المحفوظات السراي الحمراء 1883.

بتطور أوضاع الولاية وضغط القناصل وتدخلاتهم في كثير من الأوضاع الإدارية في الولاية رأى إبراهيم سراج الدين أن يطور العمل السري للتنظيم وينقل حركة الجمعية من مدرسة الكاتب إلى موقع آخر خارج المدينة فوقع الاختيار على قهوة الأرضوملي حيث يجتمع الأعضاء المختارون هناك ويتبادلون الرأي في الأوضاع المحيطة بالولاية، لقد بدأت الاجتماعات مع صفوة التنظيم بقهوة الأرضوملي والاجتماع في هذا المكان كان ضمن التغطية على حركة التنظيم حيث صار تبادل الآراء وتوزيع المهام لمتابعة تطورات الأحداث سيما وأن الخطر الأوروبي قد بدأت ملامح وتحركات الفرنسيين تنبأ بقرب احتلال تونس من خلال متابعة ما يجري هناك واضطراب الأوضاع على الحدود الطرابلسية التونسية وتحرك بعض القبائل نحو البر الطرابلسي كل هذا دفع التنظيم بأن يقوم بحملة توعية سياسية في الولاية من خلال الأعيان والأهالي بضرورة التعامل مع ما يحدث في تلك المناطق ووضع ما يستجد ضمن الاهتمامات وهذا حرض الأهالي بمطالبة سلطات الولاية بأن تستعد لما يمكن أن يحدث خاصة وأن بعض الأخبار قد أتت من المتصرفين والقائمقامين بأن الفرنسيين يحشدون القوات وفي بعض الأحيان يجتازون الحدود الأمر الذي قد يؤدي إلى اشتباكات مسلحة تكون فيها الغلبة للفرنسيين بالنظر إلى ما بحوزتهم من سلاح متطور وحشود عسكرية كبيرة[1].

كل ذلك اهتم به التنظيم السري فحرض الأهالي على المطالبة بالسلاح والتدريب بل وتدريب القبائل التونسية التي نزحت إلى الحدود لكي تقف في وجه الغزو الفرنسي وليحدث نوع من وحدة الجهاد ضد التوسع الفرنسي ولتعمل سلطة الولاية

---

(1)- عبد الرحمن تشايجي الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى مراجعة محمد الأسطى ترجمة – علي اعزازي تقديم د.محمد الطاهر الجراري ص95.

على مساعدة القبائل التونسية التي لجأت إلى مدن غرب الولاية وتقوم بتسليحهم وتدريبهم بالطريقة التي تراها سلطات الولاية لاسترداد البلاد التونسية ولكن عبثاً حاول وجهاء وأعيان تلك القبائل الحصول على السلاح والتدريب لديمومة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي لأن الدولة العلية بلغت من الضعف والرضوخ للإملاءات الفرنسية بحيث لم تستطع حماية بقية ولاياتها ومنها ولاية طرابلس الغرب فما بالك بتونس أمام التوسع الفرنسي كذلك تحرك التنظيم لتحريض الأهالي وخاصة في جنوب الولاية بضرورة حماية طريق القوافل لتستمر التجارة مع السودان والسودان الأوسط وحراسة مصادر المياه والآبار على امتداد هذه الطريق ونبه إلى أن الفرنسيين قد يتوسعون للسيطرة على هذه الطريق وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حركة الوعي التي نشرها التنظيم بين أوساط الأهالي سيما وأنه كان على اتصال بشخصيات وأعيان مناطق الجنوب ووضعهم في صورة التطورات كذلك نشط التنظيم في كشف المخطط الاستعماري الذي يستهدف التوسع فحرك الأهالي للمطالبة بالتدريب على السلاح استعداداً للتطورات المستقبلية التي لم تكن خافية على ذي نظر لذلك استجابت ولاية أحمد راسم باشا لذلك وأقنعت اسطنبول بضرورة جلب السلاح إلى الولاية فجاءت من اسطنبول بواخر يونانية وتركية تحمل عشرة آلاف بندقية وذخائر وعتاد وأقدم أهل المدينة على التدرب على السلاح كما أقيمت الطوابي والاستحكامات في إطار الاستعدادات لما يخبأه المستقبل سواءً من حيث التوسع الفرنسي من غرب الولاية وجنوبها أو الاستعداد للأطماع الإيطالية التي بدأت تطل برأسها من خلال التصريحات وتدخلات القنصل الإيطالي ودعم القناصل لإيطاليا في مشروعها الاستعماري، فقد كانت تصرفات القنصل الإيطالي تنبأ بذلك كما أن تصريحات رئيس الوزراء الإيطالي ترمي إلى استعداد إيطاليا لغزو الولاية العثمانية

الأخيرة في شمال أفريقيا طرابلس الغرب. إن هذا الوعي الذي أوجده التنظيم من خلال حركة إبـراهيم سراج الدين والشباب الليبي الذين انضموا إليه وما كان من تفاعلات بين أوساط أهالي طرابلس الغرب هو الذي كان رصيداً لحماية الولاية بل والاستعداد للدفاع عنها وذلك ما حدث عندما غزت إيطاليا الولاية في 7 أكتوبـر1911 فقد التحم الليبيون بقيادة ضباطهم والضباط الأتراك المخلصون وخاضوا معارك ضارية ضد الغزو الإيطالي. هكذا كان تكوين المنتدى الأول في ولاية طرابلس الغرب الذي شكله إبـراهيم سراج الدين بين أوساط الشاب الليبي فأوقد فيه جذوة النضال من خلال تلك الدروس المستفادة التي كانت في ظاهرها نشر العلم والمعرفة وفي باطنها تبصير الأهالي بالأطماع الاستعمارية للمشروع الأوروبي، دروس شملت التوعية للأهالي فتوثقت الصلات من خلال الاتصال بمشايخ وأعيان الولاية في المواقع ذات العلاقة بحركة التنظيم[1].



(1)- ملف أوراق محاكمة سراج الدين وصحبه مستنطق أصلي عربي دار المحفوظات بالسراي الحمراء طرابلس.

المبحث الثاني

القضايا التي تمت معالجتها بالمنتدى الوطني

نتائج الوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب

أن كل عمل يتخذ من الثقافة والمعرفة برنامج عمل لابد من أن يحرز النتائج المرجوة في حركة التطور والتقدم وهذا ما أقرته حركة إبراهيم سراج الدين في ولاية طرابلس الغرب عندما أسس أول جمعية ثقافية في العلن عاملة على نشر الوعي القومي وفي السر ضمن ميثاق وبرنامج عملي تعامل مع الواقع المعاش آنذاك في الولاية وأستهدف في الأساس التعامل مع الأحداث التي ستشهدها الولاية فيما بعد فالمهام والأهداف التي وضعتها الجمعية في إطار التعامل مع تلك المرحلة بدأت تتحقق في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لشعب الولاية سواءً كان ذلك بفعل ضغط الأهالي أو بسبب مخطط الغزو الأوروبي الذي بدأ يحضر ويعد العدة لإستعمار الولاية الأخيرة للإمبراطورية العثمانية في إفريقيا طرابلس الغرب ذلك أن السنوات الأخيرة من حكم الوالي أحمد راسم باشا ووريثه نامق باشا (1896-1898) لوحظ فيها الإهتمام بقضايا التعليم ليس فحسب لمواجهة التطور في الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الولاية ولكن بسبب إنتشار المدارس الأجنبية وخاصة التبشيرية منها والتي نشطت الدول الأوربية في تأسيسها في الولاية وفي مقدمتها فرنسا وإيطاليا خاصة وأن هاتان الدولتان إستغلتا نفوذهما في الولاية من خلال حركة قناصلهما في إطار التهيئة لمد النفوذ والتحضير لعملية الغزو ولم ينته حكم أحمد راسم باشا للولاية إلا وقد تم تأسيس 26 مدرسة إبتدائية يدرس فيها القرآن

والجغرافيا والحساب وبعض اللغات والتاريخ وبعض العلوم الطبيعية وكان ذلك من نتائج الوعي القومي في ولاية طرابلس الغرب وتنبهت سلطات الولاية إلى مخاطر المدارس الأجنبية في مرحلة تعيش فيها الولاية هاجس العدوان والإستعمار فقامت بالحد من تلك المدارس الأجنبية ووضعت الموجودة تحت المراقبة الشديدة[1].

كذلك من نتائج الوعي القومي الذي نشرته جمعية (القراء تخانة) طرحها لمشروع الإهتمام بالناحية العسكرية فقد تم إفتتاح مدرسة حربية في طرابلس ومدرسة للحرف والفن التطبيقي مثل الحدادة والحياكة والحفر على الخشب والمعادن وصناعة الأثاث والرسم والموسيقى إضافة إلى تعلم اللغة التركية والفارسية إلى جانب العربية كما أسست مدرسة لإعداد المعلمين وأصبحت إدارة التعليم في الولاية تخضع لوزارة التعليم في إسطنبول[2] ولاشك أن هذا التوسع في التعليم وفي إفتتاح المدارس سوف يشمل المدن الداخلية في الولاية وتم تغطية مصاريف التعليم في هذه المدارس من الضرائب، لقد كان لنشر التعليم في السنوات الأخيرة من عهد أحمد راسم باشا ومن خلفه فيما بعد من ولاة أثره في حركة الوعي القومي بين الأهالي بالنظر لمخاطر الغزو الأوروبي الذي بدأ يطل بوجهه القبيح وكان للرابطة الإسلامية من خلال التعليم أثرها في الإنحياز للأتراك بالرغم من معاناة المواطنين من فرض الضرائب وجاء في مقال نشرته جريدة طرابلس الغرب أن الأهالي قاموا بتقديم مساعدة للسلطات التركية تركزت في التطوع لتدعيم دفاعات البلاد بتشييد حصن في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة على ساحل البحر هو برج التراب الذي بلغ إرتفاعه حوالي 50 أو

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس.

(2)- الدجاني- ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي 1882- 1911 المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة 1971 ص123.

60 متر لكي تتمترس فوقه المدفعية للدفاع عن المدينة نوه بذلك الوالي أحمد راسم باشا في تقريره إلى وزير حربية الباب العالي كما إمتد الوعي القومي الذي إنبثق عن الإهتمامات التي نتجت عن برامج الجمعية السياسية التي أسسها إبراهيم سراج الدين إلى مسألة توزيع السلاح على الأهالي وتدريبهم عليه وإعدادهم للقتال ضمن الفرق العسكرية العثمانية وتم وصول عشرة الآف بندقية ألمانية من نوع شنايدر ثم وصلت عشرة الآف بندقية أخرى وإلى جانب فرق القولوغلية تأسست جيش الرديف أو ما يطلق عليه الجيش الشعبي أو المقاومة الشعبية ليكون سنداً أو عوناً للجيش النظامي الذي زاد عدد أفراده في مختلف التخصصات العسكرية ويظهر هذا أن الإهتمام الذي أولته سلطات الولاية للناحية العسكرية يرجع إلى ضغوط القناصل على الدولة العثمانية وخاصة قناصل بريطانيا وفرنسا الذين تأكد تنسيقهم مع إيطاليا لتكون حصتها ولاية طرابلس الغرب، وكل ذلك بفعل ما طرحته حركة الوعي القومي من المطالبة بالإهتمام بالناحية العسكرية من خلال التدريب على السلاح الذي قدم إلى ولاية طرابلس الغرب وساهم ذلك في تشكيل فرق عسكرية للخيالة والمشاة وتم تدريب ثلاثة طوابير من أهالي طرابلس[1] وخمسة طوابير من سكان السواحل وطابور من جنزور ولتغطية تكاليف هذا الإعداد العسكري بالنظر لخطر الغزو الأوروبي فرضت الضرائب على العقارات غير المنقولة بفرض زيادة الأموال.

وفي النطاق السياسي ظهرت حركة الوعي القومي في ولاية طرابلس بين الشباب الذين إندمجوا في حركة الشبان الأتراك حركة " الإتحاد والترقي " ووجدوا فيها ميولاً لرغباتهم وتطلعاتهم لتطبيق اللامركزية بحيث الولايات العثمانية تتمتع بنوع من

---

(1)- نيكولاي إيليتين – دار الكتاب الجديدة المتحدة – الطبعة الثانية بيروت ص365- 999.

الإستقلال الذاتي فتقوم بتصريف شؤونها الداخلية بنفسها وتسهم في رفع ثقل المسؤوليات عن الدولة العثمانية وكان من أبرز الشخصيات الذين تبنوا هذه الفكرة سليمان الباروني عضو خلية الجبل الغربي في جمعية الإتحاد والترقي وبشير السعداوي في منطقة الخمس الذي كان ضمن خلية الخمس أيضاً في ولاية طرابلس إلا أن هذا العقد إنفرط بسبب سياسة التتريك التي إتجه إليها الشبان الأتراك فيما بعد وأرادوا حصر المسؤوليات في أيديهم وحرمان الشباب العربي في الولاية من المشاركة الفعالة في تسيير دفة الحكم في الولاية الأمر الذي سيؤدي إلى نتائج سلبية على مستقبل السلطنة ووجودها في ولاية طرابلس الغرب. بدورها لعبت حركة الوعي القومي دوراً مهما في مجال التنوير والصحافة فقد شارك الشبان العرب الليبيون في مطبوعات الشبان الأتراك الصادرة في إسطنبول ودمشق والقاهرة فنشروا فيها مقالاتهم وآراءهم وأصدروا في يوليو عام 1897 صحيفة أسبوعية عربية خاصة هي "الترقي"[1] التي كان رئيس تحريرها ومديرها المسؤول الشيخ محمد البوصيري وهو أحد أعضاء جمعية القراء تخانة النشيطين التي أسسها إبراهيم سراج الدين وتحلق حول هذه المطبوعة شبان مثقفون من بينهم علي عياد – محمد نجم – عثمان القيزاني – خالد الغرياني – عبدالرحمن البوصيري وكان ينشر في جريدة الترقي الشاعران مصطفى بن زكري – إبراهيم باكير وهذا الأخير من أعضاء الجمعية السرية التي أسسها إبراهيم سراج الدين "القراء تخانة" غير أن سياسة التوجس التي لجأت إليها السلطات التركية سرعان ما أغلقت هذه الجريدة "الترقي" وأنزلت العقاب بالشبان المشاركين فيها لكنها عادت إلى الصدور عام 1908 ولعبت هذه المطبوعة "الترقي" دوراً كبيراً في تطور الحياة السياسية والإجتماعية في ولاية طرابلس الغرب وبمراجعة أعداد

---

(1)- أوراق ملف قضية سراج الدين دار المحفوظات أرشيف السراي الحمراء طرابلس.

الصحف التي صدرت في الولاية قبل الغزو الإيطالي نجدها وصلت إلى إثنى عشرة جريدة وصارت جريدة الترقي تطبع 1000 ألف نسخة ثم صدرت جريدة "العصر الجديد" وكان مديرها وصاحبها المسؤول محمد على الباروني وهو قومي من أنصار الإصلاح وتجمع حول هذه الجريدة شبان من ذوي الثقافة التركية والدينية ثم صدرت جريدة "الكشاف" وكان صاحبها ومديرها المسؤول محمد النائب ممثل الشبيبة المثقفة وابن أحمد النائب الأنصاري شريك إبراهيم سراج الدين والشيخ حمزة ظافر المدني في تأسيس الجمعية السرية القراء تخانة في ولاية طرابلس الغرب.

وكانت جريدة الكشاف تصدر باللغتين العربية والتركية ودافعت عن حقوق الولاية ضمن المنطلقات الدستورية كما صدرت جريدة أبي قشة التي صاحبها الهاشمي المكي التونسي وهو ضمن المهاجرين مع القبائل التونسية التي هاجرت إلى ولاية طرابلس الغرب عقب الغزو الفرنسي لتونس في مايو 1881 ء وكان الهاشمي هذا ملاحقاً من قبل المستعمرين الفرنسيين، بالنظر إلى موقفه العدائي[1] من الإستعمار الفرنسي وتصديه للممارسات الإستعمارية الفرنسية في تونس، وقد طبعت هذه الجريدة بطابع النقد فقد أخذت على كاهلها فضح التوسع الإقتصادي والسياسي للمستعمرين الأوروبيين وفي مقدمتهم الفرنسيين وخاصة في غرب ووسط القارة الإفريقية كما تعرضت الجريدة إلى أوضاع ولاية طرابلس الإقتصادية والسياسية وحرضت على ضرورة الإهتمام بدفاعات الولاية والجدية في التدريب العسكري والإهتمام بالوضع الإقتصادي، ودعت هذه الجريدة إلى الإصلاح في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية وخاصة من حيث التعليم والمعارف، كما تعرضت الجريدة إلى وضع الإدارة التركية الجامدة والمتخلفة وحثت على التطور

(1)- الدجاني – ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي 1882- 1911 ص435.

والتقدم، وكان من أبرز كتابها محمد نديم موسى، وأحمد الفساطوي، وقاسم شقرون وكانت هذه الجريدة " أبي قشه " تطبع أكبر عدد من النسخ في ولاية طرابلس الغرب فقد بلغت عدد نسخها 1200 نسخة وبذلك كانت من أشهر الجرائد في الولاية وكانت أعدادها تنفد بالنظر لما تحويه من مواضيع ومقالات تلامس شغاف قلوب القراء في الولاية[1].

لقد توالت صدور الصحف في هذه الحقبة الزمنية التي كانت فيها بفعل الضغط الإستعماري الأوروبي من جهة وحالة الوعي القومي الذي بدأ يتفاعل بين الأهالي والأتراك وضرورة إستثمار ذلك التفاعل لإعداد العدة لمواجهة الغزوة الأوروبية المنتظرة وخاصة من جانب إيطاليا التي كشفت عن مخططاتها وتنسيقها مع بريطانيا وفرنسا الإستعماريتين لإحتلال ولاية طرابلس الغرب، فصدرت جريدة "تعميم حريات" باللغة التركية والتي كان صاحبها محمد قدري وهو ضمن الشباب الذين سكتوا عن نسخ نظامات الدستور التي كانت ضمن برنامج القراء تخانة التي أسسها إبراهيم سراج الدين وبلغت إصداراتها 300 عدد كل أسبوعين وكانت تعكس إهتماماً خاصاً لقضايا الحرية ضمن توجيهات الشبان الأتراك في الإتحاد والترقي[2].

لقد أجمعت الروايات التاريخية على أن حركة اليقظة العربية كانت نتاجاً لتلك الجمعيات السرية التي إنتشرت في البلاد العربية التي كانت ضمن الولايات العثمانية وكانت جمعية القراء تخانة التي أسسها إبراهيم سراج الدين وأحتضنها أحمد النائب عميد بلدية طرابلس والشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب في قلب

---

(1)- الدجاني– ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي 1882- 1911- المطبعة الفنية الحديثة القاهرة 1971 ص282.

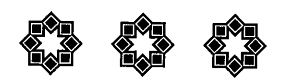
(2)- نفس المرجع ص279.

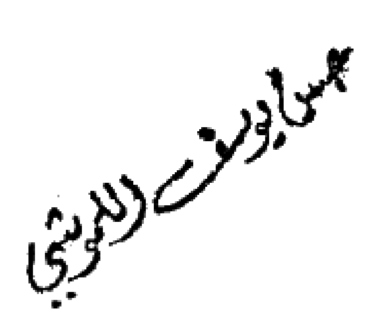
حركة الوعي القومي التي تفاعل معها أهالي الولاية بغض النظر عن جميع الإتجاهات التي أفرزت حركة الوعي القومي سواءً على صفحات هذه الجرائد أو من خلال تلك العرائض التي تقدم بها الأهالي للباب العالي فإن جميعها كان يعكس الإهتمام بالقضايا والأحداث التي تشغل سكان الولاية وكانت أولى تلك القضايا والأحداث التهديد المتعاظم لأراضي الولاية من طرف المستعمرين الأوروبيين وفي مقدمتهم الإيطاليين علاوة على الممارسات الإستعمارية التي مارستها بريطانيا في مصر أو التغلغل الفرنسي في جنوب الولاية وغربها وخاصة في عملية تخطيط الحدود التونسية الطرابلسية حيث ضمت فرنسا الكثير من النقاط الهامة والمناطق ذات الوفرة المائية بل إنها كانت تتآمر على ضم غدامس لتونس كذلك إهتمت حركة الوعي القومي بفعل الجمعيات إلى تعميم آراء مشاهير المفكرين المسلمين مثل الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ على رضا وغيرهم ممن لعبوا دوراً في إحياء التراث العربي وخاصة اللغة العربية بكل آدابها خاصة بعد وقوع الأتراك في اتون سياسة التتريك مما دفع العرب إلى المطالبة بالإستقلال الذاتي للمناطق غير التركية وخاصة العربية منها بل سرت فكرة الخلافة التي يكون على رأسها خليفة عربي تعطي للعرب مكانة خاصة بين الشعوب الإسلامية وتكون أداة القومية العربية، وفي هذا السياق تأسست جمعية سرية في الخمس برئاسة بشير السعداوي هذه الشخصية التي كان لها الدور الكبير في إستقلال ليبيا عندما أسس المؤتمر الوطني الذي كان لسان حال الليبيين في المطالبة بالإستقلال تحت شعار الإستقلال التام ووحدة ليبيا والإنضمام إلـى جامعة الـدول العربية مابين سنوات 1949 -1951[1].

---

(1)- نيكولاي إيليتين – تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين –دار الكتاب

لقد كان نمو الوعي القومي يتزايد بتزايد التوسع الإقتصادي للمستعمرين الإيطاليين في الولاية الذين تحصلوا على بعض الإمتيازات لشركائهم ومؤسساتهم بفعل العمالة التي وقع فيها بعض المسؤولين الأتراك ومن ضمنهم حسن حسني الذي حكم ولاية طرابلس الغرب لمدة عام واحد من 1909-1910 والذي كان يؤيد بمختلف الطرق الطموحات التوسعية لإيطاليا الأمر الذي دفع أهالي الولاية للتصدي لتلك المشاريع والمؤسسات الإيطالية ومنها منح الإمتياز لإيطاليا لبناء ميناء طرابلس ومد الخط الحديدي نحو المناطق الداخلية لأن هذه الإمتيازات للمشاريع والمؤسسات الإيطالية ستلحق الضرر بالتجارة والرأسمال المحليين.





الجديدة المتحدة بيروت 2001 ص373- 375.

المبحث الثالث

محاكمة إبـراهيم سراج الدين وأتباعه والنتائج التي ترتبت عليها

انتهى الأمر إلى القبض على أعضاء الجمعية الثقافية «القراء تخانة» وفي مقدمتهم إبـراهيم سراج الدين، وأجري معهم تحقيقاً طويلاً امتد أربعة أشهر لخصه تقرير المستنطق الذي شمل 34 صفحة من القطع الكبير، وان أسلوب المحققين شديداً ومثيراً للضيق حتى[1] أن الشيخ حمزة ظافر المدني جاء في إفادته «افتراءات المحققين وكذبهم واختراع القصص حيث عمد المحققون إلى الإيقاع بين أعضاء الجمعية بنقل كلام هذا على ذاك في محاولة لانتزاع الاعترافات منهم، وكانت إجابات إبـراهيم سراج الدين دقيقة وتتصف بالذكاء وتنم عـن ثقافة عالية: فمثلاً سأله المحققون عن صلته بقصاصتين من جريدتين تصدران في مصر منهما منشور باسم الحركة الوطنية المصرية يكـشف عن تآمر الخديوي توفيق ويرد على بعض الإشاعات وإن احتفاظه بالمنشور يعني صلته بنشاط العرابيين بمصر «الثورة العرابية» ويضيف المحقق بأن المنشور يحتوي على كـلام يتضمن تهيج الأهالي وتحريضهم على رفض الحكومة وخلـع الطاعة[2].

اتهام حكومة الولاية بأنها لم تهتم بالمعارف وتأسيس المدارس. وعدم انتظام التجارة مع السودان وإهمال تجارة الحلفاء وعدم المحافظة على آبار المياه بوطن التوارق وطرق القوافل.

---

(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس انظر ملحق رقم (1).
(2)- نفس المصدر.

ضعف موقف حكومة الولاية من الغزو الفرنسي لتونس وتعاملها مع القبائل التونسية التي لجأت إلى غرب الولاية ودفعهم للعودة إلى تونس ليتم السيطرة عليهم من قبل الاحتلال الفرنسي وعدم تسليح الدولة العلية لهؤلاء المهاجرين لكي يقودوا نضالاً ضد المحتل الفرنسي وطرده من تونس أجاب إبـراهيم سراج الدين على هذه التهم بأنه أراد بذلك الحفاظ على أملاك الدولة العلية وتبعية تونس وطرابلس الغرب لها ونشر العلم والمعرفة، ومن العجب العجاب أن حكام طرابلس لم يسعوا لإنشاء جيش بعد ما حصل لجيرانهم ما حصل وأشار إلى أن من دلائل حب الوطن انخراط الأهالي في العسكرية وأنكر أنه أراد نشر الأفكار الموجودة بمنشور مصر وقال إنها كانت ضمن الإطلاع بحكم وجودي في مصر.

واتهم الشيخ حمزة ظافر المدني بأنه سكت عن حركة إبـراهيم سراج الدين ولم يبلغ سلطات الولاية إلا بعد ثلاثة أيام من كشف الواقعة وبالنظر إلى مكانته الرسمية ووضعه الاجتماعي طلب منه أن يجيب على مجموعة أسئلة قدمت له في ورقة فأجابهم عليها وقدمها إلى المحققين[1].

كذلك اتهم أحمد النائب بمساعدة إبـراهيم سراج الدين لتأسيس جمعية القراء تخانة وسعيه إلى التبـرع المالي لمساعدة الطلبة على الاشتراك فيها للتعليم ونشر المعرفة[2].

فأجاب أنه قام بذلك بمعرفة سلطة الولاية وتم الحصول على رخصة للقراء تخانة لنشر العلم والمعرفة وليس له علاقة بما قام به إبـراهيم سراج الدين.

---

(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس انظر ملحق رقم (1).

(2)- نفس المصدر.

ثم بدأ التحقيق مع أعضاء جمعية القراء تخانة من الطلبة حيث أكدوا بأنهم دخلوا جمعية القراء تخانة لتلقي العلم والمعرفة وليس لهم أي دور فيما اتهم به إبـراهيم سراج الدين لأن مرادهم تلقي العلم والمعرفة فقط[1].

حاول المحققون ضرب أقوال بعضهم ببعض فيما يخص التهم التي وجهت لإبـراهيم سراج الدين وخاصة إلصاق التهم السياسية فكان جوابهم أنهم لا يميزون الكلام السياسي ولم يحـدث أن تداولوا ذلك مع إبـراهيم سراج الدين مطلقاً[2].

بعد تحقيقات استمرت مدة من الزمن صار الأمر إلى إطلاق سراج الشباب وتم التحفظ على الشيخ حمزة ظافر المدني وأحمد النائب ثم نفيا إلى اسطنبول لكنهما عادا بعد سنتين أو ثلاث[3].

جدير بالذكر الإشارة إلى أن المحققين حاولا انتزاع أقوال من إبـراهيم سراج الدين بأن الشيخ حمزة ظافر المدني وأحمد النائب قد تعاونا معه فيما يسيء إلى حكومة الولاية ولكنه نفى ذلك وتحمل المسؤولية وأراد أن يكون الضحية وكبش الفداء بالنظر إلى احتضان هاتين الشخصيتين له منذ وصوله إلى طرابلس.

من جهة أخرى اتهم الشيخ بشير إمام جامع الناقة بأن إبـراهيم سراج الدين زوده بخطبة من خطب الجمعة ليخطب بها في جامع الناقة يوم الجمعة ونص الخطبة ما يلي: -

---

(1)- الدجاني – اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882- 1911 ص65.

(2)- نفس المرجع.

(3)- الدجاني - ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1880- 1911 ص .364

2- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس انظر ملحق رقم (2)..

3- الدجاني- اليقظة العربية والنضال الشعبي 1880- 1911 ص228- 229.

[خطبة الشيخ إبراهيم سراج الدين المكاوى في 26 جمادي الأول 1300 هـ]

«الحمد لله الذي أقر في القلوب معرفته فاطمأنت بذكره وأسبغت على الخلائق نعمه وارتهن ارتيادها بشكره وأمر السموات والأرض بطاعته فاستجبن لأمره ولا يؤوده من أوجد في بـره وبحره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موقف نور الإيمان في صورة وأشهد أن محمد عبده ورسوله الذي اتفق أرباب الدراية والرواية على عظم قدره، اللَّهُمَّ فصلي وسلم على هذا النبي الكريم والرسول السند العظيم وسيدنا محمد وأصحابه القائمين بنصره.

عباد الله كيف تنسون عباداتكم وهو يعاملكم بالجميل ويحفظكم جيلاً بعد جيل، ويلكم ألا تخشون في الدنيا والآخرة عاقبة العصيان، أما تخافون عقاب الملك الديان.

تمر بكم الأيام والليالي وأنتم غافلون وتوقفكم حوادث الغرب والشرق وأنتم نائمون. أما علمتم بمن جزر الجزائر وهو إلى حيكم سائر، أما علمتم بمن سوَّد وجه الخضراء «تونس» وتفرغ إلى افتراس الأخرى «مصر» أما علمتم من شرب النيل وكيف تقلص في واديه ظلكم الظليل.

فاتقوا الله عباد الله، واعتصموا بحبل الإيمان واستعدوا للتخلص من هذا الهوان فإنه والله حساب الدارين واصطلاء النارين «الله أكبـر» ما هذه الغفلة التي عمت الكبير والصغير والعظيم والحقير أتظنون أنكم أحرار وأنتم لله عبيداً أتظنون أنكم مهتدون وأنتم في ضلال بعيد... وإلا فأين القرآن وأحكامه وأين الإسلام وأيامه...»

ذهبت والله بذهاب أجدادكم الكرام، وأما أنتم وحياتكم موت للدين وكمدٌ لنفوس المهتدين، فهل عدتم لمحاسبة النفوس قبل معاينة اليوم العبوس[1].

«وتعاونوا على البـر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» إن الله لم يفضل الأمة الإسلامية إلا لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. فقوموا بوظيفتكم هذه يضمن لكن النصر والتأييد والفخر الذي لا يوجد أيها الخشب المسنده ولا أقول الناس أين دينكم العزيز؟... وما كان في أيديكم من الذهب الإبـريز أين لغتكم الشريفة وأوطانكم المنيفة؟... أين علومكم الغزيرة ؟... وماضياتكم الشهيرة؟...

أين ما قاله الله لكم؟...« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم»...

وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفى إليكم وأنتم لا تظلمون» اتقوا الله وحاذروا أن تلقوه وأنتم عن كتابه الكريم غافلون.. وأطيعوا سلطانكم فإن كل خير في طاعته وساعدوه على ما فيه صلاح العام...واذكروا يوم ترجف الأرض والجبال كتيباً مهيلاً.. يوم تشقق السماء والأرض بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلاً.. يوم ندعو كل الناس إمامهم... فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً.

قال صلى الله عليه وسلم «تعرض الناس يوم القيامة ثلاثة عرضات: ـ أمَّا عرضتان بجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة ففي ذلك تطير الصحف من الأيدي بآخذ بيمينه وآخرون بشماله...[1]

---

(1)-ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس انظر ملحق رقم (2)..

معاذ الله ـ ما هذه الغفلة وأيام العمر منكم ذاهبة وما هذه الفترة وسهام الرزية لكم صائبة، ولماذا هذا الاطمئنان وقد ذهب الأقارب والأباعد، وما هذا الأمان والعدو يأخذكم واحداً بعد واحد...

أيها الناس ما أقصى قلوبكم، تراخيتم عن نصر الدين إلى أن اضمحل وبخلتم بالبكاء على الدين وعلى ضيعة الإسلام والمسلمين تعالوا بنا نبكي على الأوطان وعلى حفظة كلمة القرآن ـ تعالوا بنا نبكي على أراضينا الفاخرة وبحورنا الزاخرة ـ تعالوا بنا نبكي على أولادنا الصغار وبناتنا الأبكار ودخولها في حوزة الكفار ـ تعالوا بنا نبكي على علومنا الغزيرة وكتبنا الشهيرة... تعالوا بنا نبكي على تواريخنا القديمة وشيم أجدادنا الكريمة... تعالوا بنا نبكي على النخوة الإسلامية والشهامة العربية ـ أين أصحاب الممالك العثمانية...

«أيها الناس... ما هذه الغفلة المطبقة؟... أتظنون أنكم خلقتم عبثا.. كلا والله ثم كلا والله... ولكنكم أضعتم الدين وخرتم تحت أقدام الكافرين، فاحذروا أن تكونوا في الآخرة كذلك»

الشيخ إبراهيم عبد القادر سراج الدين
26 جمادي الأول 1300 هـ
الموافق أكتوبر 1882م

وعند التحقيق مع الشيخ بشير إمام جامع الناقة حول الخطبة الجمعة التي كتبها إبراهيم سراج الدين أفاد بأن الخطبة أتى بها المدعو حسن المبروك وهو يعمل حرايري وله دكان نول بسوق الفنيدقه وهو قريب من جامع الناقة ويبدو أن الخطبة وصلت إلى مكتب عميد البلدية أحمد النائب الذي أعطاها في بادئ الأمر إلى الشيخ

---

(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس انظر ملحق رقم (1)..

حسن بن عثمان إمام جامع جبانة أبو ستة وعندما قرأها الشيخ حسن بن عثمان هذا وجد فيها كلاماً غريباً فاعتذر لأحمد النائب عن الخطابة بها في جامعه حتى أنه أثناء التحقيقات مع أحمد النائب حول الخطبة اعتراف الشيخ حسن بن عثمان بأن أحمد النائب أعطاها له ليخطب بها فرفضها ولم يأخذها وعند مواجهة الشيخ حسن بن عثمان بعميد بلدية طرابلس أحمد النائب قال أنه لم يعط الخطبة للشيخ حسن بن عثمان وأن هذا افتراء من الشيخ حسن بن عثمان عليّ لأنه سبق أن طلب مني أن أوظف له شخص وأنا لم أقم بذلك فيريد أن يكيد لي، والحقيقة أن أحمد النائب أرسل الخطبة إلى الشيخ بشير إمام جامع الناقة الذي خطب بها وحضر الخطبة أعيان طرابلس مثل محمود القلهود ومحمد مصطفى كامل والشيخ حمزة وأحمد النائب وكان لها وقع وتأثير عميق في إحياء الروح الإسلامية وإذكاء جذوة الكفاح في وقت صعب تمر به ولاية طرابلس الغرب. وبعد انتهاء الخطبة التقى الأعيان والشخصيات وأخذوا يهنئون بعضهم بعضاً[1].

من جهة أخرى كان هناك بعض الإحتياطات لما سيأتي من ردة فعل من سلطة الولاية حول إلقاء هذه الخطبة التي اعتبرتها الحكومة بأنها من إنشاء إبراهيم سراج الدين الذي هو في نظرها مفسد برسم شارل فير والقنصل الفرنسي. لذلك كتب عليها الشيخ حمزة ظافر المدني في نهاية الصفحة لم يخطب بها في محاولة لتضليل عيون البوليس والتأكيد أنه لم يخطب بها وهذا كان محل سؤال من المحققين للشيخ حمزة ظافر المدني لكنه سبق وأن طلب منه الإجابة على بعض الأسئلة التي وضعها له المحققون بالنظر إلى مركزه الرسمي والاجتماعي فأجاب على

(1)- ملف أوراق محاكمة إبراهيم سراج الدين وصحبه أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس.

تلك الأسئلة وختمها بعبارة أجبت على أسئلتكم بوضوح وتوضيح الواضح من المشكلات وكان هذا ديدنه عندما أعاد المحققون التحقيق معه.

وانتهى الأمر في هذه القضية قضية القراء تخانة بسجن إبـراهيم سراج الدين كمتهم رئيسي في سجن الكراكة السراي الحمراء بطرابلس، وبنفي الشخصيتين المحترمتين أحمد النائب عميد البلدية والشيخ حمزة ظافر المدني إلى اسطنبول وإطلاق سراح الشباب بالنظر لأنهم لا يميزون الكلام الحماسي ولا ما يتعلق بالأمور السياسية كما أطلق سراح الشيخ بشير إمام جامع الناقة لأنه معلم أطفال ولا يميز الكلام الحماسي وكان كبش الفداء والضحية كما يقولون إبـراهيم سراج الدين الذي جرى معه التحقيق في البداية حول دوره في تأسيس جمعية القراء تخانة وعلاقته بقنصلي إنجلترا وإيطاليا ويبقى إبـراهيم سراج الدين قابعاً في السجن إلا انه وبالنظر لشعوره بأنه لن يخرج من السجن حياً بسبب المعاملة القاسية والتضييق الرهيب الذي مورس ضده لكنه يبدأ فيما بعد المرحلة الثانية من نضاله السياسي في الولاية من داخل السجن فيبدأ بالتعرف على المعتقلين ومن رأى فيهم من يمتلك قدراً من العلم والوعي بدأ يستقطبه لهذه المرحلة الثانية من النضال من داخل السجن وركز في هذه المرحلة على الشخصيات المعتبـرة في بلدات الولاية مثل الزاوية وترهونة ومصراته وغات وبلدات أخرى في الجنوب أراد أن ينغص فيها الصفو الفرنسي هناك بالنظر لموقف فرنسا منه بداية من الجزائر ومروراً بمصر ثم انتهاءً بولاية طرابلس ودور شارل فيروا في إلقاء القبض عليه[1] فكانت خطته التعرف على المعتقلين ومن خلالهم التعرف على مشاهير الشخصيات والأهالي المعتبـرين في بلدان الولاية،

(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس.

ووجد ضالته في السجين يوسف عبد الجليل الصيد من ترهونة والذي كان يتقد حماساً للتخلص من حكم الأتراك الاستبدادي بالنظر للمعاملة السيئة التي لقيها في السجن بين حوش البوليس والكراكة ـ فصار تبادل الآراء بين إبـراهيم سراج الدين ويوسف عبد الجليل الصيد الذي عرفه بشخصية علي المريّضْ أحد وجهاء ترهونة الذي له ثقل بين قبائل ترهونة لذلك خصه إبـراهيم سراج الدين بـرسالة عن الأوضاع في الولاية وضياع الإسلام واستبداد الترك وعجزهم عن دفع الغزو الأوروبي عن بلاد الإسلام في تونس ومصر وها هي طرابلس قاب قوسين أو أدنى من الاحتلال الإيطالي وحركة القناصل الثلاثة في الولاية تشهد على قرب ذلك الموعد المشؤوم.

كذلك تعرف إبـراهيم سراج الدين على سجين آخر رأى فيه إمكانية مساعدته على التعرف على بعض الشخصيات في بلدة الزاوية فأخبـره بشخصية الشيخ عبد الرزاق البشتي عالم جليل وشيخ تحرير وكذلك الشيخ محمد الأخضر فأرسل لكليهما رسالة بنفس الصيغة التي أرسلها إلى علي المريض في ترهونة لكن الشيخ عبد الرزاق البشتي سارع إلى تسليم رسالة إبـراهيم سراج الدين إلى سلطات الولاية تقرباً منه ودفعاً لما قد يناله من السلطات إن سكت على ذلك [1] ،وبذلك عرفت السلطات أن إبـراهيم سراج الدين بدأ المرحلة الثانية من النضال داخل السجن مستعيناً بالمعتقلين الذين يلتقون وأفكاره وحماسته على حد تعبير المحققين من بوليس الولاية فبدأت رئاسة السجن التضييق على إبـراهيم سراج الدين من حيث خروجه من زنزانته والالتقاء بالمعتقلين الآخرين لكن يوسف عبد الجليل الصيد الذي كان

(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس.

أجرأ المعتقلين استمر في اقتناص الفرص للقاء بإبـراهيم سراج الدين والحوار معه في أوضاع الولاية ومستقبل الأهالي في طرابلس الغرب خاصة وأن الأخبار ترد إلى السجن عن طريق الزوار بما يحدث في الخارج من أحداث سيما تدخلات القناصل الأجانب وفي مرة من المرات كان بعض المعتقلين يتحاورون مع يوسف الصيد وبعضهم يتألم لما يحدث داخل الزنزانات فثار يوسف عبد الجليل الصيد وقال أن الأتراك يحبسون الناس ويعذبون الشرفاء فصاح الله يهلك السلطان فرد عليه أحد المعتقلين وقال له قل الله ينصر السلطان: فقال له يوسف عبد الجليل الصيد: ـ الله ينصره على عشتك «بيت من القش» وأضاف أن أم السلطان روميه فبلغ ذلك مأمور السجن فأطال مدة اعتقال يوسف عبد الجليل الصيد ليبقى بجوار إبـراهيم سراج الدين. ثم يكتمل الثلاثي النضالي بانضمام محمد أبو ربعيه المحامي الذي كان يتردد على السجن للتوكل على المعتقلين فتمكن إبـراهيم سراج الدين من التعرف على محمد أبو ربعيه ووجد فيه ضالته أيضاً حيث أنه كان مثقفاً واعياً عالماً بأوضاع الولاية وقادراً على أن يحدث الإصلاح المطلوب الذي انبـرى له إبـراهيم سراج الدين منذ زمن[1].

وتتوالي اللقاءات بين إبـراهيم سراج الدين ويوسف عبد الجليل الصيد ومحمد أبوربعية كلما وجدوا فرصة سانحة للقاء.

وصار إبـراهيم سراج الدين يكتب رسائل إلى الأهالي وأعيان البلدان في الولاية شرقاً وغرباً وجنوباً واهتم أكثر فأكثر بالجنوب ووصلت رسائله عن طريق المعتقلين

---

(1)- نفس المصدر.

الذين يسرحون أو الزوار الذين يكونون محل ثقة ووفاء ولقد فعلت تلك الرسائل فعلها في إيقاظ الوعي القومي بما يجري من الإعداد للغزو الأوروبي[1].

وتفجرت بعض الثورات ضد العثمانيين الذين تساهلوا مع الفرنسيين وتركوهم يحتلون مناطق في غرب الولاية وجنوبها وخاصة محاولة السيطرة على طرق القوافل ومصادر المياه وتحويل تجارة أفريقيا إلى حيث المنافذ التونسية والجزائرية التي تسيطر عليها فرنسا فمن ذلك ثورة حميد الدين وأخوه محمد اللذين استطاعا أن يسيطرا على مناطق شاسعة من الجنوب ويخضعا محلات كثيرة لتكون خارج السيطرة العثمانية.

أما في طرابلس فتعود المعاملات الرسمية باللغة العربية بعد أن فرضت اللغة التركية في إطار عملية التتريك لمدة من الزمن كذلك يعمل أحمد راسم باشا على إعادة الشخصيات العربية لتتولى إدارة دولاب الدولة حيث أن الشخصيات العربية شعرت بالإهانة عندما أبعدت عن إدارة معاملات الدولة فصار في نشاطها ضعف ورخاوة كما جاء في إحدى الرسائل التي بعث بها أحمد راسم باشا إلى اسطنبول يطلب فيها الإذن بإعادة الموظفين العرب إلى الإدارة العثمانية بعد أن أبعدوا[2] عنها لسنوات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نجاح حركة اليقظة العربية التي فجرتها جمعية القراء تخانة في أوساط المجتمع العربي الليبي آنذاك.



(1)- ملف أوراق قضية إبراهيم سراج الدين وصحبه مستنطق عربي سنكي أصلي أرشيف دار المحفوظات السرايا الحمراء طرابلس.

(2)- وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية)1881- 1911 ترجمة عبدالسلام أدهم، إعداد أحمد صدقي الدجاني وثيقة رقم 95-95.

المبحث الرابع

إستعراض للتحقيق الذي أجري مع

إبراهيم سراج الدين

اجتمعت الهيئة الإتهامية في حجرة المداولة المشكلة لدى محكمة الإستئناف برئاسة الحاج محمد توفيق أفندي رئيس دائرة جزاء محكمة بداية المركز بانضمام هيئة إتهامية ولاية طرابلس الغرب الحالية ومن أعضائها بالمحكمة المذكورة السيدان طاهر القبطان حسن الحبروش وبحضور صاحب العزة أشرف بك مدعي عام الإستئناف أيضاً وجرى تكليف محمد أمين أفندي أحد كتاب الضبط بقراءة التقرير المدفع منه بتاريخ 11 شعبان 1312 هـو13 مارس1315 وبرقم 23 الحاوي على طلبه أدعائه بإتهام ابر هيم سراج الدين بقيامه بأعمال تؤدي إلى الإخلال بالإستقرار في ولاية طرابلس الغرب[1] اتهامه بالجناية للسيدين صاحب العزة الشيخ حمزة ظافر المدني وأحمد النائب اللذين فهما أنهما بدلاً مساعيهما لبت وترويج أفعاله وكذلك الذيل الموقع على الأعلام السامي لدائرة جزاء محكمة التمييز العلية برقم 1317 المؤرخ في 10 ربيع الأول 1302 هـو21، كانون الأول 1299 مالية الموافق 1883 الأمر بنقض مضبطة الإتهام ورسالة أدعاء معاونَ مدعي عام المذكرة المؤرخة في 27 ذي القعدة 1301 و 10 أيلول 1300 إدعاءه باتهام المؤمى إليهم ورسالة بقرار مستنطق محكمة الجزاء البدائية المركزية المؤرخة 14 محرم 1303 و21 تشرين أول 1300 التي بذلك المعنى مرفق بمضبطة هيئة محكمة الإستئناف برقم 20 بتاريخ 10 رجب 1301 من كافة الأوراق التحقيقية والإستجوابية المتعلقة بهذا الأمر بأنها

(1)-أوراق ملف قضية سراج الدين دار المحفوظات أرشيف السراي الحمراء طرابلس.

جرت بمحضرهم، وبعد الإستماع إلى أبداء المدعى العام المذكور لرأيه الذي يؤكد فيه مثال تقريره والمؤيد لأسباب دلائل إتهام المذكورين السادة :-

إبراهيم سراج الدين، وحمزة وأحمد بتهمته الجنائية روعيت المادة (206) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العالي أن خلاصة مثال الأعلام السامي لمحكمة التميز هو أن تحقيقات واستنطاق هذه العملية تجرى بمعرفة الهيئة التي تدعى بالجمعية الاستطلاعية التي تتألف من متصرف المركز ونائب الولاية والأمراء العسكريين ومن رئيس دائرتي الحقوق والجزاء بمحكمة الإستئناف وأعضائها الموجودين وقد علم أن القرار الذي تم تحضيره بالنتيجة عهد تحقيقه خلافاً للواجب إلى أعضاء الإستئناف مع اثنان من الأعضاء الشرفيين وأرسل رأساً إلى الهيئة الإتهامية وحيث أن هذه المعاملات مغايرة للأحكام القانونية والقواعد الأساسية ولو أنه أحياناً من الأصول الموضوعة في مثل هذه الأحوال السياسية حاجة تشكيل لجنة وتبادر للتحقيقات والتدقيقات فإن المضبطة التي ستقدمها هذه اللجنة نتيجة تحرياتها لا تقوم مقام تقرير المستنطقة ويجب أن تعتبر في مظاهر التحقيقات الأولية وإذا ما أعطى من طرف المستنطق القرار المنفصل اللازم لا يجوز قطعاً رؤية وتدقيق المسألة في الهيئة الإتهامية وحيث أن اللجنة المذكورة أشترك فيها كافة الأعضاء والرؤساء اللذين يشكلون هيئة المحكمة الإستئنافية التي سيوكل إليها قانوناً محاكمة هذه القضية فإنها عملاً بالمادة (247) من القانون المذكور تشتمل على نظارة العدل الجليلة التحريرية وبلاغ رئاسة الإدعاء العامة السامية بأنه صدر قرار بالنقض العادي المضبطة الإتهامية السالفة الذكر المعطاة سابقاً 25 أغسطس 1299.

ذُكر في رسالة معاونيه الإدعاء العامة السالفة الذكر أن الضنين إبراهيم سراج الدين هرب من مصر بسبب سوء أحواله وأتى إلى طرابلس الغرب حيث نزل ضيفاً على الضنين الشيخ حمزة ظافر المدني أفندي وبالتشاور معه جلب وجمع حوله بعض

الأشخاص بحجه دراسة الجغرافيا وغيرها والضنين الأخر أحمد أفندي النائب رئيس البلدية السابق أستأجر مقهى خارج المدينة وأخذ يلقنهم ليلاً ونهاراً معاني الورقات الثلاثة التحريضية التي كتبها بأسماء:

أ- تعليمات القراء تخانة

ب- فوائد ونصائــح

ج- تعليمات للضباط العسكريين

كذلك جلب جرائد من اسطنبول ومن البلدان الأجنبية وضم أفراد من الضباط العسكريين ومن سكان اسطنبول وبالخاصة من البلدان الأجنبية ومن مشائخ وأعيان وملحقات الولاية وضمهم للجمعية وعقد الأواصر بهم وأجراء المخابرات السرية معهم كما أنه أوصى من جهة الحكومة بأن يسعوا دائماً لتعيين الموظفين في الوظائف التي تشغر من أفراد جمعيتهم وأن يحلف أولئك الأشخاص بكتم الأسرار تم يفكر في مسألة جلب السلاح ومع إسناده العجز للدولة العلية فيقول بأن هذه الفوضى والمصائب التي حاقت بالهند والجزائر ومصر وتونس سوف تحل بطرابلس.

لقد بلغ علم المقام السامي سراً وتحقق بأنه رتب وكتب خطبة مطولة تحتوى على ألفاظ فاسدة وضارة لتهييج قلوب وأفكار الناس وأتبعها بملحق أضاف بها كلمات (تعالوا بنا نبكي) المحرضة على الثورة بعلم وإطلاع المومى إليهما السيدان حمزة ظافر المدني وأحمد النائب وكلفوا بشير أفندي خطيب جامع الناقة الكائن بطرابلس بقراءتها في أحد الجمع وكانوا حاضرين يومها في المسجد فأصدر دولة الوالي أمره بالقبض على إبراهيم سراج الدين وعلى منتسبي الجمعية المخالفة لأوامر الولاية والقيام باستجوابهم ولما علم إبراهيم سراج الدين بصدور هذا الأمر ذهب في الحال ليلاً إلى بيت الشيخ حمزة أفندي وهو يصيح ويلتمس تخليصه، وفي اليوم التالي أراد الشيخ المومى إليه أخبار الدولة العلية بهذه المسألة زاعماً أنه علم بها من الخارج

ونظراً إلى الأهمية القصوى لهذه القضية لدى الولاية فإنه بالإستناد إلى ما جاء في الصحيفة (352) من الجلد الأول بالدستور وفي الفصل الرابع من قانون المحاكم النظامية وفي الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة عشرة من دواوين تمييز الولايات بأنه إذا وقع حادث عظيم جداً يخل بأمن وإستقرار البلاد يوكل للنظر فيه بداية إلى الديوان المذكور، أن ما جاء في أحدى فقرات الأمر السامي لنظارة العدل الجليلة المؤرخ في 25 محرم 1295 وبرقم 31 نظراً للأمر الكريم الوارد بأن المواد التي لم تذكر في المواد المؤقتة العدلية المعلنة والمنشورة أخيراً لم يذكر صراحة لفسخها يعتبر مرعية الأجراء ونظراً إلى خطورة هذا الحادث فإنه بالإستناد إلى تقرير الإدعاء الذي قدمه صاحب العزة علي أفندي مدعى عام محكمة الإستئناف السابق بأجراء التحقيقات الأولية لهذه المسألة بمحكمة الإستئناف فإنه خلال التحقيقات التي أجريت من قبل المحكمة المذكورة وتبين أنه بسبب كون السيدين حمزة ظافر المدني وأحمد من ذوي النفوذ والمكانة وحتى لا يحدث في العمل خطأ وعراقيل فقد تبين أن صالح باشا متصرف المركز وفضيلة النائب السابق فيضي أفندي ومن الأمراء العسكريين الأميرالاي المتوفي شاهين بك وصاحب العزة القائم أمام أيوب بك قد تحقق أنهم كانوا حاضرين في محكمة الإستئناف بصفتهم مستمعين.

أن إبراهيم سراج الذي كان يعمل في طرابلس الغرب وتجرأ وسعى بالقول والفعل لتشويش أفكار الأهالي وتحريضهم على الشغب والثورة لتوفير أسباب تدخل الأجانب وإخراج حكم الولاية من تحت حكم السلطنة السنية وتبين ذلك من مضمون قطع الأوراق الثلاثة التي وجدت بحوزته وإعترف أنه كتبها بقلمه ومما جاء في الخطبة وفي ملحقها ومن فحوى الرسائل التي كتبها من السجن إلى قنصل دولة ايطاليا وضبطت ومن كلماتها (أن وزيركم وأميركم منذ تولى أموركم) المدرجة في جريدة الجمعية الوطنية المصرية والتي يقال أنه محررها وقد وجدت بين أوراقه، لقد

كلف عبد الكريم أفندي الرئيس السابق لكتاب محكمة البداية وعارف أفندي كاتب الضبط وهما من الأشخاص الذين جمعهم من حوله. كلفهما أن ينقلا له عن الدستور صورتين من قانون الضبطية والبلدية، وثبث وبلغت درجة الثبوت بدلائلها و بالإفادات والإخباريات المدونة لأفراد الجمعية بعد تحليفهم والجديرة قانوناً بالقبول إن المومى إليهما السيدان الشيخ حمزة ظافر المدني وأحمد النائب قد اشتركا مع سراج المرقوم في محاولاته وجهوده الثورية وسعوا شخصياً لإنجاح وقبول محاولاته وقبول الشيخ حمزة ضيفاً في مدرسته الضنين محمد المغراوي المصراتي الذي أصدرت الحكومة أمراً باعتقاله بسبب الخبر الذي بلغها من أنه تورط بالقبول والفعل لبيع أراضي النخيل لقرى مرادة وجبنة ومحريقة الكائنة ضمن قضاء سرت وأظهر له اللطف والإحترام و إستدعاه لمأدبة المومى إليه أحمد أفندي التي أقامها لإبن عقيل بينما كان يدرى أنه مبحوث عنه من طرف الحكومة فإنه بدلاً من أن يخبر عنه الحكومة كلف إبراهيم سراج الدين بأن يكتب له توصية إلى متصرف الخمس بشأن عدم ملاحقته أو القيام بتعذيبه ووقع أسفلها بخط يده توقيع (حمزة ظافر المدني) وأعطاها للمذكور وصرفه. لقد تبث أنهما دبرا قراءة الخطبة من طرف الحاج بشير أفندي خطيب جامع الناقة بشهادة عبد القادر المكي، ومحمد الجدع من أهالي البلد ومحمد الأحول أحد شواش البلدية وذي المكرمة الشيخ محمد كامل بن مصطفى من أعضاء مجلس الإدارة والحاج محمد المجراب ومحمود القلهود من أعضاء الإستئناف السابقين والحاج عثمان من أعضاء البلدية وأخبار المرقومان سراج والمغراوي، وقد تبث لدى صاحب العزة أسعد أفندي رئيس بداية الحقوق وصاحب الرفعة أحمد بن عبد السلام كاتب عربي بمجلس الإدارة ورفاقهم الذين انتخبوا كمميزين (خبراء) من طرف محكمة الإستئناف ومن هيئة المحكمة بأن ذلك التوقيع هو بخط الشيخ المومى إليه. وبالنظر إلى هذه الأحوال فإن أعمال سراج الشائنة تنطبق على الفقرة

الأولى من ذيل المادة (54) من قانون العقوبات الملكي وتستلزم إعدامـه[1] وإذا كانت أفعال المرموقين السيدين الشيـخ حمزة وأحمد (بما أنها من نوع الجناية التي تمس الفقرة الثانية من الذيل المذكور. إذ يرى في أحوالهما ما يوجب العقوبة فإنها لا تكون أقل من الحجز المؤقت في القلعة لمدة خمس سنوات) وعليه فيجب تدقيق أوراق التحقيق السالفة الذكر وعملاً بالمادة (128) من قانون أصول المحاكمات الجزائية السامي المطالبة بتنظيم القرار اللازم.

كانت تلك المضبطة الإتهامية التي وجهت التهم المشار إليها إلى إبراهيم سراج الدين وبمقتضاها صار إبراهيم سراج الدين نزيل سجن الكراكة تم سجن البوليس فسجن الكوريك بالقلعة.

أما الشخصيتان الهامتان الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب واحد الوجهاء في جهاز إدارة الولاية والمقرب لدى السلطان عبد الحميد وأحمد النائب الشخصية السياسية والثقافية رئيس بلدية طرابلس الغرب فقد وجهت لهما تهمة التعاون مع إبراهيم سراج الدين وتسهيل أعماله لتشكيل جمعية القراء تخانة وإصدار لوائحها وقوانينها ونظامها الأساسي - والسكوت على تنظيم تلك الخطبة المثيرة والمهيجة والتي خطب بها الشيخ بشير إمام جامع الناقة وكان لها صدى وأثر في نفوس الأهالي وأحدثت تساؤلات بين جميع الأهالي وأيقظت الشعور بما تخبئه السنوات القادمة من أخطار تنتظر الولاية بحكم الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تعيشها الولاية والضغط الأوروبي الذي بدأ يفرض نفسه ويريد أن يحل محل الدولة العثمانية خاصة وأنها فقدت الكثير من الولايات العربية ولم يبق لها إلا ولاية طرابلس الغرب في شمال إفريقيا وكانت الخطبة التي خطب بها في جامع الناقة والتي إحتوت على مواعظ عامة ولكنها ركزت على أحوال المسلمين في الولايات

---

(1)- وثائق ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) 1881- 1911 وثيقة رقم 72 ص116.

العثمانية وما يواجهونه من خطر داهم ضمن مشروع الغزو لتلك الولايات فقد جاء في الخطبة كيف إنحسر ظل الإسلام الظليل في مصر وما وقع للخضراء قبل ذلك بسنة واحدة فمصر أصبحت تحت الهيمنة الإنجليزية وتونس أصبحت تحت الهيمنة الفرنسية. وتخلل الخطبة كلمات الحسرة والحشرجة عند ما جاء في أحد فقراتها (تعالوا بنا نبكي) وصارت حديث القاسي والداني من الأهالي حتى أن البعض أعتقد أن الخطبة في الجمعة المقبلة ستكون على هذا السياق فسارع مبكراً يوم الجمعة لأخذ مكان في جامع الناقة لكنه إعتراه الأسف عندما لم يسمع ما سمعه في الخطبة السابقة وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن الأهالي كانوا متعطشين لسماع مثل هذا الحديث وكشف الستار عما سيواجه المسلمين في أرجاء الولاية وهم يعلمون مدى الضعف الذي تعانيه من الناحية العسكرية حيث لا إستعدادات ولا تدريبات للعساكر الشاهانيه إلا بعد أن أصبح مشروع الغزو الأوروبي قابلاً للتنفيذ في زمن ليس بالبعيد بل أن الحديث بين الأهالي صار متداولاً بأنه إذا هاجم الفرنسيون أو الانجليز هذه الولاية فسيأخذونها في ساعة واحدة وكثر الحديث عن مصير الولاية و دق ناقوس الخطر وهو الذي حرك إبراهيم سراج الدين والمنضمين في جمعية القراء تخانة إلى ضرورة الإهتمام بالحالة الدفاعية عن الولاية وتشجيع المتطوعين للانخراط في سلك الجندية وكان هذا ما دفع إلى ضرورة إنشاء نظام عسكري نامة يهتم بأمور عسكر الولاية وتنظيمهم وتدريبهم والأخذ بأسباب جلب السلاح للولاية وتحصين المواقع المتوقع الهجوم عليها وهو ما دار في خلد إبراهيم سراج الدين حتى أنه نظم ذلك القانون العسكري وأراده خطوة على طريق الأعداد والاستعداد لما تخبأه الأحداث إلا أن المغرضين وفي مقدمتهم حسن المبروك وهو بوليس خفية يعمل تحت ستار نساج في دكان بالفنيدقة كان وراء الإتهام لإبراهيم سراج الدين عندما حصل على نسخة من برنامج التنظيم العسكري وسلمها للآلاي العسكرى فأصبحت تلك

من التهم التى وجهت لإبراهيم سراج الدين لذلك حددت محاكمته في ثلاث قضايا هى:-

1- قضية جمعية القراء تخانة وموادها العشرين.

2- وضع اللائحة الداخلية للقراء تخانة ذات السبعة مواد.

3- قانون نظام نامة عسكرى.

فمن حيث تأسيس جمعية القراء تخانة أتهم إبراهيم سراج الدين بأنه جمع حوله مجموعة من الشباب في طرابلس وهم :-

1- عبد الكريم أفندي رئيس كتاب محكمة البداية.

2- محمد عبد الحفيظ العارف أفندي أحد كتاب محكمة البداية.

3- محمد البوصيري الساعاتي من المثقفين والمتخصصين في علم الفلك والجغرافيا.

4- على الزمرلي التاجر وأخوه إبراهيم الزمرلي.

5- مصطفي القلالي.

6- سليمان القلالي.

7- مسعود عيدان.

8- محمد الباهي.

9- إبراهيم باكـــير.

10- سليمان بن الحاج.

حيث شكل جمعية القراء تخانة وبدأ في عقد إجتماعات مع الشباب في مقهى مصطفى آغا الارضروملى الكائنة خارج سور البلدة حيث بدأو يستجلبون الجرائد من الخارج للإطلاع والتثقيف إلا أن ذلك كان ستاراً لنشاط جمعية القراء تخان

الذي تحول إلى إهتمام بأوضاع الولاية السياسية والإقتصادية والإجتماعية وما ينتظر الولاية من مواجهة المصير الذي حصل في تونس ومصر[1].

كذلك نصب أعضاء من جمعية القراء تخانة لمتابعة الأوضاع الإدارية في القلعة ومتابعة أحوال الدواخل ومراسلة بعض الأعيان المهمين لربطهم بتنظيم الجمعية وكذلك مراقبة تحركات القناصل.

وإعتبرت سلطات الولاية أن هذا العمل يشبه ما قام به إبراهيم سراج الدين في مصر قبل رحيله عنها ووصوله إلى ولاية طرابلس الغرب وصنفت هذا العمل ضمن حالات الفساد وتهييج الأهالي ضد سلطات الولاية وذلك ما حوته المواد العشرون لقانون الجمعية.

إتهمت سلطات الولاية إبراهيم سراج الدين بأنه وراء أعداد ووضع اللائحة الداخلية المنظمة لعمل القراء تخانة والتي حوت سبعة بنود.

كذلك إتهمت سلطات الولاية إبراهيم سراج الدين بالتدخل في الشئون العسكرية وذلك بتجاسره على وضع قانون نظام نامة عسكري.

1- قام إبراهيم سراج الدين بإنشاء خطبة جمعية[2].

2- كتابة رسالة بشأن محمد المغراوي إلى عزتلو متصرف الخمس.

3- إتصال إبراهيم سراج الدين بالقنصل الإيطالي في بنغازي وحصوله على رسالة منه ليسلمها إلى قنصل إيطاليا في طرابلس.

1- إن إنشاء إبراهيم سراج الدين للخطبة الجمعية ومحاولة توزيعها إلى أئمة جوامع طرابلس وإقتصار الخطابة بها في جامع الناقة من طرف الشيخ محمد بشير

---

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين الجزء الأول من ملف القضية أرشيف دار المحفوظات السراي الحمراء بطرابلس.

(2)- نفس المصدر الجزء الثاني.

إمام جامع الناقة إعتبرته سلطات الولاية تهيج للأهالي وخلق إضطراب في الولاية وتسبب في تدخل الأجانب في شؤون الولاية.

2- قام إبراهيم سراج الدين بإنشاء رسالة توصية لمحمد المغراوي بتوجيه من الشيخ حمزة ظافر المدني فاعتبرت سلطات الولاية هذا العمل بأنه تستر وإحتضان لمجرم تطارده سلطات الولاية بالنظر لتدخله في مسائل البوليتكه أي في مسائل سياسية تهدد أملاك الولاية.

إتهام إبراهيم سراج الدين حال وصوله إلى بنغازي بأنه زود برسالة من القنصل الإيطالي في بنغازي إلى القنصل الإيطالي في طرابلس أثناء الاستنطاق لإبراهيم سراج الدين من قبل المحققين وهم لجنة التحقيق المكونة من :-

1- حزقيـــل
2- خليل دربيكة
3- محمد فرحات
4- محمد بانـون
5- حكمـــت

أجاب إبراهيم سراج الدين على أسئلة المحققين نافياً التهم التي ألصقت به موضحاً أن تشكيل الجمعية للقراء تخانة لم يكن إلا بهدف نشر المعرفة والثقافة التي كانت تفتقدها الولاية أما من حيث أنشاء رسالة تخص المغراوي ليسلمها إلى متصرف الخمس فقد أكد أنها بمقتضى طلب وتوجيه من الشيخ حمزة ظافر المدني الذي طلب منه ألا يخرج فيها عن الأصول[1].

---

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين الجزء الأول من ملف القضية أرشيف دار المحفوظات السراي الحمراء بطرابلس.

وعند سؤاله عن الرسالة الموجه من القنصل الإيطالي في بنغازي إلى القنصل الايطالي في طرابلس نفاها إبراهيم سراج الدين نفياً قاطعاً وأكد أنه لا علاقة له بتلك الرسالة وهذا ما أكده الشيخ حمزة ظافر المدني أثناء التحقيق معه.

لقد جاء هذا التحقيق مع إبراهيم سراج الدين بعد إعتقاله بأربعة أشهر وسجنه في زنزانات في القلعة سواء في سجن الكراكة أو البوليس أو الكوريك[1] وهي سجون تفتقد لكل المواصفات الصحية وبسببها أصيب إبراهيم سراج الدين بمرض السل حيث بقى في أحد هذه السجون في بداية إعتقاله أربعة أيام بلياليها بدون فراش أو غطاء.

لقد توالت جلسات المحكمة والاستنطاق من قبل أعضاء لجان التحقيق وكانت الأسئلة الموجهة لإبراهيم سراج الدين وأعضاء جمعية القراء تخانة والشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب وأحمد النائب رئيس بلدية طرابلس على درجة من الدقة والاستنطاق والاستقراء بحيث كانت شاملة لكل الأوجه التي من خلالها يمكن الحصول على معلومات أكثر وأدق لإثبات التهم على المنخرطين في قضية إبراهيم سراج الدين من قريب أو بعيد[2].

في المقابل كان إبراهيم سراج الدين مراوغاً في الإجابة أحياناً ومدعياً الجهل بالحادثة أحياناً أخرى تم يتدارك الأمر بعد ذلك ويتجاوب مع المطلوب من السؤال وربما كان ذلك بسبب صنوف التعذيب التي مورست ضده.

أما مساءلة أعضاء الجمعية فقد كانت في إطار الحصول على المعلومات حول شخص إبراهيم سراج الدين والبحث عن نقاط تدينه إلا أن جميع أعضاء الجمعية ولصغر سنهم أجابوا بأنهم إنخرطوا في هذه الجمعية للتعلم فقط وأن ما شجعهم

---

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين الجزء الأول من ملف القضية أرشيف السراي الحمراء – طرابلس.

(2)- نفس المصدر.

للدخول في جمعية القراء تخانة هو إستحسان الشيخ حمزة ظافر المدني ورئيس البلدية أحمد النائب اللذان كانا وراء تأسيس هذه الجمعية الثقافية وأنهم لا يعرفون غير ذلك.

ومن هنا فإن العفو عنهم جميعهم كان سريعاً بالنظر لأنهم لا يستوعبون ما أستهدفه إبراهيم سراج الدين في دروسه لجمعية القراء تخانة.

أما الشيخ حمزة وأحمد النائب فعلى الرغم من نفيهم للتعاطي مع إبراهيم سراج الدين في شأن السياسة وما ينغص الوضع في الولاية فأنهما اعتقلا فترة في القلعة ضمن التحفظ تم أرسلا إلى إستنطبول .

والجدير بالذكر أن إبراهيم سراج الدين قد أستدرك في أقواله أثناء التحقيق وأعترف بأن الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب وأحمد النائب رئيس بلدية طرابلس ليس لهما أي دخل في ما أسند إليهما من تهم وكان ذلك تضحية من إبراهيم سراج الدين لأبعاد الشخصين عن التهم الموجهة إليهما بالنظر لوضعهما السياسي والإجتماعي.

يقول إبراهيم سراج الدين أن من كان وراء سجنه هو قنصل فرنسا شارل فيرود والمعروف أن إبراهيم سراج الدين اكتوى بنار الملاحقة الفرنسية له سواء يوم كان مقيماً في الجزائر لمدة خمس سنوات وتحركه الثقافي والسياسي بين الجزائر وتونس تحت ستار المتاجرة بالكتب أو عندما رجع إلى مصر بعد أن طردته السلطات الفرنسية من الجزائر وفرضت عليه عدم العودة إلى الجزائر الأمر الذي حرمه زوجته وأبنه فخرج وحيداً إلى تونس ومنها إلى مصر وما كاد يحط الرحال في مصر ويبدأ استئناف عمله التعبوى القومي بإنشاء جريدة الحجاز وتدبيج المقالات القومية لاستنهاض الهمة العربية والإسلامية لمواجهة خطر الغزو الأوروبي حتى

عاجلة القنصل الفرنسي غامبيتا في مصر[1] بالمطاردة والسعي لدى السلطات الخديوية حتى أصدرت أمراً بقفل جريدة الحجاز فأستبشرت جريدة اللومند الفرنسية بقفل هذه الجريدة ووصفتها بأنها الجريدة العربية التي كرهت الشرقيين في فرنسا.

يلتجأ إبراهيم سراج الدين إلى صديقه عبد الغنى المدني فيصدران جريدة الفسطاط التي إختطت منهج جريدة الحجاز لكن القنصل الفرنسي في القاهرة غامبيتا وبالتعاون مع الدوائر الاستعمارية في مصر سارع إلى قفل جريدة الفسطاط أيضاً حيث خلا الجو للدوائر الاستعمارية التي كانت تقودها اللجنة الفرنسية البريطانية وكان ذلك تمهيداً لإحتلال مصر في يوليو 1882.

لقد أستخدمت المحكمة والمحققون فيها سياسة مواجهة إبراهيم سراج الدين بمن انخرطوا معه في جمعية القراء تخانة وكان في مقدمتهم حسن المبروك[2] الذي أشرت إليه في عدة مواضع من هذا البحث بأنه كان يعمل بوليس خفية (سري) تحت غطاء حوكي أي نساج أردية بدكانه في الفنيدقة وحسن المبروك هذا كان على علاقة إجتماعية مع أهم الشخصيات في مدينة طرابلس وفي مقدمتهم الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب تلك المدرسة التي كانت خلوات للعلم والمعرفة بل ومكاناً لإيواء بعض العلماء والمترددين على المدرسة لقضاء حوائجهم في طرابلس خاصة من يأتي من الدواخل مثلما كان مع محمد المغرواي والشيخ حسن المغربي وغيرهم كثيرون، لقد كان حسن المبروك يتردد على المدرسة في بداية إقامة إبراهيم سراج الدين فيها وصار يراقب من يتردد على دروس إبراهيم سراج الدين وتمكن من الحضور لبعض الدروس التي فهم أنها ليست معرفية أو ثقافية بقدر ما توجه نحو الإصلاح وتنمية الوعي ضد الأوضاع الفاسدة في الولاية بل أراد حسن المبروك هذا

(1)- لورد كرومر الثورة العربية ترجمة عبدالعزيز عرابي ص92.

(2)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين الجزء الأول من ملف القضية أرشيف السراي الحمراء – طرابلس.

أن يؤثر على بعض المنتسبين لجمعية القراء تخانة وطلب منهم بأن يبتعدوا عن إبراهيم سراج الدين ودروسه وتمكن من الحصول على برنامج القراء تخانة واللائحة الداخلية بل وحتى نظام نامة العسكري الذي أنشاءه إبراهيم سراج الدين وسارع إلى تسليمه إلى الجهات الأمنية في السلطة وأثناء التحقيق واجه حسن المبروك إبراهيم سراج الدين لتثبيت التهم التى وجهت إليه وحرض الآخرين على إبراهيم سراج الدين لينال عقابه. وكان لحسن المبروك لقاء مع محمد الباهي عضو جمعية القراء تخانة وسأله ما هو مقصدكم من هذه الإجتماعات والدروس فقال محمد الباهي مرادنا إصلاح حال البلاد فرد عليه حسن المبروك وهل تستطيعون ذلك؟

لقد عمل المحققون على مواجهة إبراهيم سراج الدين بكل من أجتمع بهم في جمعية القراء تخانة بهدف تثبيت التهم التي وجهت إليه من قبل المحققين في محكمة الاستئناف إلا أن أكثرهم نفوا أن ما أخذوه من دروس يمس السياسة أويتدخل في شؤون حكم الولاية.

إضافة إلى حسن المبروك الذي عمل بكل السبل لإيقاع إبراهيم سراج الدين في تثبيت التهم الموجهة إليه.

تبرز شخصية أخرى هي شخصية عبد القادر المكاوي وهذا الشخص له خلفيات منها:-

أنه التقى بإبراهيم سراج الدين في تونس وحصلت بينهما معرفة واكتشف إبراهيم سراج الدين أن عبد القادر المكاوي يعاني من الحاجة والفقر مما أضطره لبيع ملابسه[1] فقام إبراهيم سراج الدين بمساعدته مادياً وخفف عليه لكنه أكتشف أن عبد القادر المكاوي هذا ق صرح له في يوم من الأيام بأن القساوسة الفرنسيين أرحم من المسلمين فاحتاط منه وشعر إبراهيم سراج الدين بأن عبد القادر المكاوي ربما

---

(1)- ملف محاكمة إبراهيم سراج الدين الجزء الأول من القضية أرشيف السراي الحمراء - طرابلس.

يكون قد وظفه الفرنسيون كعميل لهم وهذا ما أعلنه إبراهيم سراج الدين أثناء محاكمته عندما واجهه عبد القادر المكاوي شاهداً على تورط إبراهيم سراج الدين فيما أسند إليه من تهم، بذلك يصبح إبراهيم سراج الدين المتهم الأول ويترك في غياهب سجون القلعة لمدة ثماني سنوات بعد أن حددت عقوبته بالمادة 54 الفقرة الأولى من قانون العقوبات العثماني في ولاية طرابلس الغرب والتي هي عقوبة الإعدام[1].



(1)- نفس المرجع السابق.

المحكمة

تتوالي التحقيقات مع إبراهيم سراج الدين سواءً في القضية الأولى التي حكم عليه فيها بالإعدام أو في القضية الثانية التي كان مسرحها السجن والإدعاء بالمهدوية كغطاء لتحركه الجديد بالتعاون مع يوسف عبد الجليل الصيد والمحامي محمد أبوربعية تلك الشخصية التي لعبت دوراً هاماً في القضية الثانية ويخلط المحققون في أسئلتهم حول القضية الأولى فيعاودون السؤال عن علاقة إبراهيم سراج الدين بقنصلي ايطاليا وبريطانيا في محاولة لإلصاق تهمه الخيانة بالتعامل مع هذين القنصلين فينفي إبراهيم سراج الدين ذلك بالمطلق ويؤكد أن الرسالة إلى القنصل الإيطالي كتبها عمر أفندي المقيم داخل السجن والذي قلد خطى في تلك الرسالة المزعومة ويؤكد نفي إبراهيم سراج الدين لهذه التهمة ما أعلنه الشيخ حمزة ظافر المدني الذي نفى أن يكون قد إطلع على تلك الرسالة وينفيها بالمطلق.

أما بخصوص الرسالة إلى القنصل الإنجليزي فيؤكد إبراهيم سراج الدين أنه لم يكتب رسالة للقنصل الانجليزي مطلقاً ويدلل على أنه إذا كان ذا علاقة مع الانجليز لما ترك مصر قبل سقوطها في يد الإنجليز ولما خرج من مصر، ويعلن للمحققين أن ذلك محض إفتراء برفضه رفضاً تاماً وعندما يكرر المحققون الأسئلة حول القضية الأولى يجيبهم لقد فعلتها فأقضوا ما أنتم قاضون[1].

أما القضية الثانية التي أعلن فيها أنه المهدي المنتظر وخاطب فيها كثير من الشخصيات والأعيان فيجيب المحققين الذين ضايقوه بكثرة الأسئلة بأن هذه

---

(1)-الدجاني / اليقضة العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882 – 1911 – ص306- 307.

القضية "هي نتيجة لروحاني تملكني وطلب مني أن أدعوا الناس إلى تصحيح الدين والدعوة إلى رب العالمين الذي أتاني اليقين.

وهي مسألة الهداية التي أنا معلن عنها وهذه المسألة كما تهم العامة تهم الخاصة أيضاً وكما تهم المحمديين تهم غيرهم أيضاً وقد علمتم أنه لا فائدة لمحبوس مثلي في غاية الفقر والضعف أن يكذب على الله وعلى ملائكته وسائر خلقه" عندما توالت جلسات المحكمة وتوالى معها المحققون سئل إبراهيم سراج الدين.

ما هو التاريخ الذي قمت به زاعماً أنك متنبئاً ؟

"أجاب التاريخ: قديم فلقد دعيت من قبل بعض رجال الحكومة وحدث بيني وبينهم حوار وكلام في موضوع التنبأ وكان هذا بعد ست سنوات من الاعتقال وحضر هذا الاجتماع رئيس مجلس الإستئناف وحضرة مدعى العموم وحضرة الألآلي أشرف بك الألآلي بهجت بك ورئيس الاستئناف هلال أفندي واستنطقوني في هذه الجلسة حول هذه المسألة "التنبأ" وبعد أن إنتهت الجلسة وأنصرفت إلى السجن جاء حافظ أفندي مدير سجن الكوريك في ذلك الوقت وأخبرني بأنهم يريدون منع إختلاطي بالمجالس فخصص لي حجرة الحارس ثم أخبروني بأن للحكومة كلام في أمري وأني قبل إنتهاء الكلام ينبغي أن أكون بعيداً عن المحابيس فلذلك استحسن حافظ أفندي أن أكون في الزنزانة ليومين. وجر إلى الحجرة نحو خمسة عشرة محبوساً قام بعضهم بثقب جدار الحبس وحفروا فوهة للهرب وطلبوا مني أن أهرب معهم فأبيت، ولولا صدقي والبينة من ربي لخرجت في أولهم.

ولما علمت الحكومة بفرارهم وبقائي وحدي أبت أن تتركني في ذلك الزنزان القبيح وأرجعوني إلى غرفتي السابقة"

أراد إبراهيم سراج الدين بهذا الموقف أن يؤكد على التنبأ الذي أتخذه غطاء لمواصلة نضاله من داخل السجن.

سئل عن لزوم إصلاح الخطب الجمعية العامة وما هذا الإصلاح الذي رأيت لزومه وما هي الأوجه التي ترى يجب إصلاحها بالخطب الحاضرة؟

أجاب إبراهيم سراج الدين أردت حث الناس على أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر وعلى أن يتعاونوا على البر والتقوى وعلى إقامة الحدود وما أشبه ذلك مما أوجبه الله على كل مؤمن مطيع عابد.

سئل أن هذه المواضيع هي المحور الذي تدور عليه مشتملات الخطب الحاضرة كما هو ظاهر فهل أنت تجحد ذلك؟ ومادمت تزعم أنك مأموراً إلاهياً فالأجدر أن تبين حقيقة مقصدك من تلك العبارة؟

أجاب إبراهيم سراج الدين أنكم لو نظرتم إلى كتاب الله وتدبرتم معانيه أو لو أبحثمولي أن أكتب لكم بما يشير فيه إلى الحق الذي لا يتأتى على مسلم إنكاره تعلمون أن هذه الدولة هي دولة منافقة بسبب القوانين وأنه لا تجوز الصلاة على من مات من رجالها وأنهم كاذبون في إيمانهم وحتى في شهاداتهم بالوحدانية والرسالة، وقد رأيتم مما وقع لإخواننا مصداقاً لما وعد الله به المنافقين من الخزي في الحياة الدنيا، وأن قلتم لا أين ذهبت الممالك الإسلامية والقسم العظيم من المملكة العثمانية، أليس هذا جزاء من الله سبحانه وتعالى؟ أو مصدقاً لما نزل به الكتاب وأرسل به رسله، ولو تأملتم عند قوله تعالى في سورة المائدة " فأعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم" وفي سورة النساء عند قوله تعالى " فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم"[1].

---

(1)- ملف قضية إبراهيم سراج الدين – دار المحفوظات السراي الحمراء طرابلس / الملحق رقم 1.

تعلمون ما سبب وقوع الحربين العظيمتين اللتين وقعتا في زمن جلالة سلطاننا الحالي "عبد الحميد الثاني" وفي زمن والده المعظم وما سبب المصيبتين العظيمتين اللتين وقعتا للسلطانيين بينهما والواليين الآخرين بمصر وغيرها من الأمصار من الأمور التي يجب الاعتبار بدقيقها قبل جليلها وقد أقسم تعالى بذاته المقدسة في سورة النساء" أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا بالشريعة ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً من حكمها ويسلموا تسليماً " وفي سورة المائدة نفي تعالى الإيمان عن من يتولى عن حكم الله، ووصف أهل الطاغوت بالكفر والفسق والظلم وقال في سورة محمد بأنهم مرتدون وكذبهم في أول سورة المنافقين في نطقهم بالشهادتين.

كانت تلك أخر الأسئلة التي سألها المستنطقون لإبراهيم سراج الدين ووصلوا إلى قناعة بأنه وصل إلى حالة وصفوها بالترهات وفظاعة الألفاظ وإصراره على عملية الإصلاح مهما كلفه الثمن إذ نجده في آخر إجاباته يقول أنه لم يتكلم في حق الدولة العليا بغير حق وهو يعلم أنها آخر دولة بقيت لأهل القرآن لذلك أنا بين خوفي عليها من الله وبين حرصي على دوام بقائها أتكلم بكلام فهمتم منه ما قد فهمتم مما أعلم أنه لا حرج على مثلي فيه ولاشك أن للناصح مقالة قد يستاء منها غير أهل الأنصاف والمعرفة وفي ظني أن الكلام إذا كان مأخوذ من كتاب الله ومسند إليه فلا يهمكم سوى تصحيح النقل..

كان ذلك أخر كلام إبراهيم سراج الدين في المحاكمة التي أجريت له بعد ثماني سنوات من إعتقاله ذلك أن السلطة إكتفت في البداية وبعد أربعة شهور من إعتقاله بتحقيق دقيق ومتواصل وعلى فترات متقطعة حددت فيه مسؤولية الثورة وإلقاء ما تسميه السلطة بالفساد في الولاية ومحاولة مداخلة الأجانب وتهييج الأهالي وأحداث الإضطربات في أكثر من قضاء من قضاءات الولا ية فطبقت عليه المادة 54

من قانون العقوبات المعمول به آنذاك وحكمت عليه بالإعدام وأرسلت حيثيات الحكم إلى وزارة العدل بإسطنبول للتصديق عليه وبقى إبراهيم سراج الدين رهن الاعتقال والمعاملة القاسية من سجن الكراكة إلى الكوريك إلى الحشر في زنزانات مختلفة بتلك السجون التي لا يوجد فيها أبسط الشروط الصحية والعناية الإنسانية.

وهذه المعاملة السيئة هي التي كانت سبباً في إصابته بمرض السل الذي أخذ يأكل جسمه حتى قضى عليه في سجن الكوريك.

(يقول الوكيل محمد تحسين أفندي " خلاصة محاكمة إبراهيم سراج الدين عبارة عن شيئين – إحداهما ما كان سبباً في سجنه والثاني ما أحدثه وهو في السجن مما هو معلوم – أما الأمور الأولى فأقول عليها أنه لم يقصد إلا فتح قراء تخانة وذلك غير ممنوع كما أن التعليمات التي نسبت إليه لم تكن بها ما يوجب الاختلال المتصور وغاية ما فيها هو الحث على جلب الناس إلى دائرة المدَنِيَّة وأما أجوبته التي قيل عنها أرسلت إلى القناصل فعلى فرض ثبوتها أنها منه فلا يخفى أن المحبوس يلتجأ إلى كل أحد وأما متا أدعاه من النبوة وما شاكلها فهذه علامة على سلب جوهر عقله ولا يخفى أن مادة أحدى وأربعين من قانون الجزاء عفت عن مجازات مثله)[1]..

وهكذا قرأ المدعي العام قائمة الشهود وطلب جلبهم وبناءً على إقتراب المساء تقرر تعليق أعطاء القرار في هذا الصدد إلى الجلسة التالية في 6 جمادي الأولى1309 هـ الموافق ديسمبر 1891 م.

---

(1)- الدجاني/ بداية اليقضة العربية والنضال في ليبيا 1882- 1911 ص316.

الجلسة النهائية :-

أخر جلسة عقدت يوم الثلاثاء 21 جمادي الاول 1309 هـ- الموافق 23 ديسمبر 1891.

جلب المتهمان إبراهيم سراج الدين ويوسف الصيد من السجن وأجلسا مع محاميهما في الأمكنة المخصصة لهم والقاضي و أعضاء المحكمة هم الأولون وبعد أن قرأت أسماء الشهود المجلوبين لأداء الشهادة في قضية إبراهيم سراج الدين ومحمد أبوربعيه المشتركة في قضية يوسف الصيد المتهم بأنه شتم الذات الملكية.

طلب المدعى العام الإستماع إلى إفادة الشهود قال المتهم إبراهيم سراج الدين (أن جلب هؤلاء الأشخاص أو عدمه في رأي الآن على حد سواء لعدم علمي بحقيقة موضوع شهاداتهم)

يقول :- الوكيل عن المتهمين محمد تحسين أفندي المحامي " وهذا أخر ما قرأت وأطلعت عليه من إفادة إبراهيم سراج الدين إنني لم أعثر على ما يفيد عقد جلسة حضرها المتهم المذكور وتحت ضبط الجلسة السالفة الذكر والتي كانت موقعة من القاضي والأعضاء المذكورة أسمائهم في الجلسات السابقة يوجد ضبط لجلسة عقدت في ذي القعدة 1309 هالموافق 28 مايو 1892 غاب من أعضاء الجلسة السابقة العضو اليهودي الربي رحمين الذي حل مكانة محمد مختار حسان ذكر في السطر الثالث من ضبط الدعوى أنه :- قرأ جهراً تقرير طبيب البلدية المعطى بتاريخ 11 نيسان 1308 مالية الموافق 24 أبريل 1892 بأن المتهم الشيخ إبراهيم سراج الدين توفى بالتدرن الرئوي وتقرر إسقاط الحقوق العامة عنه 28 مايو 1892"[1].

---

(1)-الدجاني/ بداية اليقظة العربية والنضال في ليبيا 1882- 1911، ص317.

الخاتمة

عقب هذه الرحلة الطويلة مع إبراهيم سراج الدين وتلك الحياة الحافلة بالنشاط السياسي في إطار الآراء والأفكار الإصلاحية التي تفجرت في عهده يتأكد لنا كم كان حريصاً على انتشال العرب ودمجهم في مقتضيات الحياة الحديثة، ذلك التوجه الذي ظل عالقاً بذهنه ومحل إهتمامه عبر تلك المرحلة التي قضاها متجولاً في البلاد العربية الإسلامية من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة إلى مصر إلى ديار الإسلام في الهند فالعودة إلى مصر إلى تونس فالجزائر والإستقرار فيها خمس سنوات ثم مغادرتها تحت التهديد والوعيد فالمرور بتونس والبوح بما يدبره العدو فالعودة الكلية إلى مصر لإستئناف النشاط يساعده في ذلك إزدهار الثقافة ووجود المصلحين من أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا وعبد الله النديم وغيرهم من دعاة النهضة الذين ساءهم حال الأمة فانبروا يدافعون عن حقوقها لتأخذ بأسباب التقدم الذي بدأ يأخذ مساحته في ربوع العالم وخاصة في أوروبا في وقت كانت فيه الدولة العثمانية قد أصابها ما أصابها من التخلف الأمر الذي انعكس على كافة البلاد العربية الإسلامية.

كما مر بنا في هذه الدراسة ترسم إبراهيم سراج الدين خطى أولئك المصلحين وبدأ يخوض تجربة نشر الوعي القومي في البلاد العربية من خلال برنامج ثقافي بدأه بالتجوال والإتجار بالكتب وما صدر عن كوكبة من المصلحين من أفكار تصب في طاحونة الثقافة وتجدير الوعي القومي بما يرفع من مستوى الإصلاحات التي ينادي بها في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ البلاد العربية، حيث الغفلة والتواكل وسلطة

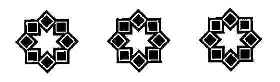
إستبدادية شددت من قبضتها ولاحقت المفكرين الداعيين للإصلاح فأبعدتهم وهمشتهم ودلفت بالكثيرين منهم في المعتقلات والمنافي وعدو صليبي متحفز للإنقضاض على الأمة الإسلامية لتمزيق شملها واغتصاب ثرواتها ودك إسفين الفرقة بين أطرافها.

في هذه الأحوال الحالكة يبرز إبراهيم سراج الدين في الميدان ليصدح بالقول والكلمة عبر نشاطه الصحفي والإعلامي في صحيفته الحجاز، ثم يلتقي برفيق المهنة والمبادئ عبد الغني المدني صاحب صحيفة الفسطاط فتنسجم جهودهما في تعميق وتجدير الوعي القومي وكشف مخططات الغرب الذي كان يستعد للغزو ويتحين الفرصة للإحتلال فيكشفان نواياه ويوضحان للأمة ما تخبأه الأيام فيطالهما ما يطالهما من قفل الصحيفتين الحجاز والفسطاط وينتابهما الإبعاد والإقصاء وتتفرق بهما السبل فيختار إبراهيم سراج الدين مقامه في ولاية طرابلس الغرب بعد أن تيقن أن مصر واقعة تحت الإحتلال البريطاني قاب قوسين أو أدني وفي طرابلس الغرب يستقبل بكل حفاوة وترحاب ممن كان له بهم علاقة سابقة ومعرفة عبر متابعة الأحوال وتقصي الأحداث وتبدأ رحلة التثقيف والتوعية لمن شكل منهم جمعية القراء تخانة بمساعدة الشخصيتين الهامتين أحمد النائب وحمزة ظافر المدني وآخرين ممن شدهم هذا المشروع الثقافي النهضوي، وتأخذ دروس الوعي القومي طريقها إلى أولئك الشباب الذين انخرطوا في تلك الجمعية وتتواصل اللقاءات والدروس ويتم تبصير الأهالي بما وصل إليه الحال من سوء وتدهور واضمحلال فيزداد الوعي القومي انتشاراً ويتكشف يوماً بعد يوم تدخل القناصل في شؤون الولاية وممارسة الضغوط على سلطة الولاية بأن تضع حداً لنشاط هذه الجمعية القراء تخانة فيتم الهجوم على مقر القراء تخانة ويقبض على إبراهيم سراج الدين ومر يديه

من الشباب بل ويطال القبض والإعتقال الشيخ حمزة ظافر المدني صاحب مدرسة الكاتب وأحمد النائب عميد بلدية طرابلس، وينفيان إلى إسطنبول ويعتقل إبراهيم سراج الدين في سجن الكوريك بالسراي الحمراء ويبقى فيه حتى يصاب بمرض السل الذي يفتك به فيموت بالسجن ويستدل الستار على إبراهيم سراج الدين الذي ندر نفسه لحركة الوعي القومي وبطاقة حياته تقول :- "**إن كل الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وأكثر العلماء الأعلام والأدباء النبلاء تقلبوا، في البلاد وماتوا غرباء.....**[1]".

هكذا تقلب إبراهيم سراج الدين في البلاد داعياً من دعاة النهضة وعلم من أعلام نشر الوعي القومي في البلاد العربية فكار لجهوده وتضحياته الأثر الكبير في ترسيخ الدعوة إلى الإصلاح والتغيير لما يخدم مصلحة الأمة ويحفظ لها تراثها وكيانها في وقت كان الغزو الأوروبي يكشر عن أنيابه لإحتلال البلاد العربية والإسلامية.

لقد أتت دعوات إبراهيم سراج الدين للإصلاح أكلها بفضل تصميمه على تجدير الوعي القومي بين أوساط الأهالي في الولاية العثمانية (طرابلس الغرب) بمساعدة من تعرف عليهم من أعلام الولاية وشبابها فكانت تلك الجهود رصيداً لحركة الجهاد التي تفجرت في وجه العدو الإيطالي الغازي فأكدت عزم أهالي طرابلس الغرب على إنتزاع الحرية والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية.



(1)- د. عمارة (دراسة وتحقيق عبدالرحمن الكواكب الأعمال الكاملة) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - الطبعة الأولى يوليو 1975 ص17

نفد المصادر والمراجع

رابعاً :-

أ- لقد وجدت أهم المصادر التي تناولت هذه القضية هي ملف قضية إبراهيم سراج الدين الموجودة بدار المحفوظات بطرابلس فاطلعت عليها واستفدت بما فيها من المعلومات لتكون مصدراً أساسيا لكتابة الرسالة. ذلك إن ملف فضية إبراهيم سراج الدين يوضح النشاط الذي قام به والشباب العربي الليبي الذين انضموا إليه في أطار جمعية سرية جعلت من (القراء تخانة) شعار النشاط في تحقيق الوعي القومي ضمن أفاق النهضة العربية التي كانت متأججة في المشرق العربي تصارع القبضة العثمانية وتواجه مصيراً قاسيا بفرض المشروع الأوروبي الاستعماري في الوطن العربي.

ب- الحوليات الليبية شارل فيرو القنصل الفرنسي في الجزائر ومعلوماته حول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ولاية طرابلس الغرب فقد كان معاصراً لحركة المد القومي ومن ضمنها قضية إبراهيم سراج الدين في طرابلس الغرب ذلك أن شارل فيرو يرى في حركة إبراهيم سراج الدين خطراً على الإستعمار الفرنسي للجزائر وتونس فيما بعد ولذلك سعى لطرده من الجزائر ثم كان له دور أساسي في متابعة حركته في ولاية طرابلس والقبض عليه ومريديه حيث أحاط الوالي أحمد راسم بتكوين جمعية القراء تخانة وخطرها على حكومة الولاية.

ج- كتاب الدكتور احمد صدقي الدجاني بعنوان (ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882 -1911) ففي الفصل التاسع من هذا الكتاب نجد المؤلف المشار إليه تناول اليقظة الشعبية في ولاية طرابلس الغرب من خلال قضية إبراهيم سراج الدين حيث أورد نشاط إبراهيم سراج الدين والشيخ حمزة ظافر المدني واحمد النائب ثم مجموعة الشباب الدين انضموا إلي جمعية القراء تخانة (الجمعية السرية) والنهاية التي ألت إليها

تم إصدار كتاب اليقظة الشعبة والنضال الشعبي في ليبيا قصة أول تنظيم سياسي في ولاية طرابلس الغرب ولقد توسع المؤلف في هذا الكتاب واتي ببداية التفكير في تأسيس جمعية القراء تخانة من قبل إبراهيم سراج الدين بعد أن التقي بأحمد النائب والشيخ حمزة المدني وأقنعهما بضرورة تأسيس جمعية ثقافية تضم شباب البلاد وتقدم الفائدة الثقافية المعرفية واستطاع إقناع عميد بلدية طرابلس احمد النائب بهذا المشروع الثقافي العلمي والذي بدوره سعي لدي الوالي أحمد راسم وتمكن من الحصول علي موافقته لفتح هذه الجمعية.

لقد تناول احمد صدقي الدجاني بشي من الترتيب والتفصيل في قضية الكشف عن حقيقة هذه الجمعية والقبض علي إبراهيم سراج الدين والشباب الذين انخرطوا فيها بل إن القضية طالت الشيخ حمزة ظافر واحمد النائب فأفرد صفحات كثيرة لمداولات المحكمة التي حاكمت الشباب وإبراهيم سراج الدين والمصير الذي أل إليه وحتى وفاته في السجن بالقلعة بسبب مرضه بالسل الرئوي وكان ذلك في أبريل 1892م.

ومن الملاحظ إن الدكتور احمد صدقي الدجاني اعتمد كثيراً علي ملفات القضية بدار المحفوظات التاريخية وتوسع فيها وقارنها مع الجمعيات السرية العربية التي ظهرت في المشرق العربي ووضع دراسته هذه في أطار التواصل في نشر الوعي القومي في المشرق والمغرب العربي.

د- البحث في دار المحفوظات الجزائرية لعلاقة إبراهيم سراج الدين بالجزائر وتردده عليها في عملية بيع الكتب وزواجه من جزائرية ثم طرده من قبل السلطات الفرنسية في الجزائر ومنعه من الدخول ألي تونس والجزائر كلية.

يضطرني البحث أيضا للاطلاع علي ما كتبه الفرنسيون في هذا الموضوع كذلك البحث عن المصادر التي كتبت عن إبراهيم سراج الدين ونشاطه الصحفي والإعلامي في أطار الوعي القومي بدار الكتب في القاهرة بمصر أو دار المحفوظات المصرية باعتبار

أن إبراهيم سراج الدين عاصر الحركة الفكرية والثقافية وحتى السياسية وأبرزها أحداث الثورة العرابية علاوة علي صحيفة الفسطاط التي كانت تصدر كل يوم اثنين من كل أسبوع وصــاحب امتيازها عبد الغني المدني ويحررها أحد أهالي المدينة المنورة وهو إبراهيم سراج الدين كما جاء في ذيل الصحيفة المذكورة.

ز- وكذلك البحث عن المصادر التونسية في دار المحفوظات التونسية التي كتبت عن إبراهيم سراج الدين ودخوله إلي تونس ومتاجرته ببيع الكتب والتعرف علي بعض أعيانها كأحمد الخوجه كذلك معهد الدراسات التاريخية بمدينة زغوان بتونس والذي مديره الأستاذ / التميمي مصدر المعلومات التي تغني هذه الرسالة وتقدم معلومات جديدة ووافية للموضوع.

و- وفي نهاية الأمر لابد من الإطلاع علي ما يتعلق بقضية إبراهيم سراج الدين في دار المحفوظات التركية باسطنبول للوقوف علي المصدر في هذا الموضوع الهام باعتبار إن السلطات العثمانية هي أول من تعامل مع هذه القضية في أطار متابعة نشاط إبراهيم سراج الدين منذ أن وطأت أقدامه ولاية طرابلس الغرب أو عندما كان في مصر متفاعلا مع الحركة الوطنية المصرية علاوة علي معايشته للحركة الثقافية والصحفية التي ساهم فيها بجهده وفكره تلك هي المصادر التي رأيت الاعتماد عليها في كتابة رسالتي هذه لقد بحث في مصر عن الوثائق التي تناولت نشاط إبراهيم سراج الدين لكنني لم أحصل إلا علي جريدة الفسطاط أما بالنسبة للجزائر فلا توجد أي وثائق عن الموضوع كذلك في تونس بحث في مكتبة الدار الوطنية فلم أجد شيئا عن علاقة إبراهيم سراج الدين بالمفتي أحمد خوجة حاولت مقابلة مفتي تونس الحالي لعله يرشدني إلي أية معلومة عن علاقة إبراهيم سراج الدين بأحمد خوجة إلا أنني لم أتمكن من ذلك.

يأتي التعريف بهذا البحث الذي يتناول إبراهيم سراج الدين الوعي القومي في ليبيا ليسلط الضوء علي فترة زمنية كانت هامة ودقيقة في تاريخ ليبيا الحديث في أواخر العهد العثماني الثاني الذي طمس معالم الثقافة ووقف حائلا دون قيام النهضة التي سعي لها الكثيرون من العلماء والمفكرين العرب خاصة الذين احتكوا بالنهضة الأوربية ولمسو التطورات الحضارية التي شملت أوروبا وأوصلتها إلي أفاق التقدم العلمي والتطور التقني فأحس أولئك المصلحون بمدي التخلف الذي تعانيه البلاد العربية.

لعل المطلع علي كتاب (طبائع الاستبداد ومطامع الإستعباد يخرج بحصيلة وافية عن حالة الشعوب في الولايات العثمانية وخاصة الولايات العربية حيث لم تكن لكل دعوات الإصلاح التي انبري لها عدد من المصلحين ودعوا إلي تحسين أحوال شعوب الولايات وأشراكهم في إدارة الدولة ونشر التعليم وبناء المدارس لتأخذ شعوب الولايات العثمانية بأسباب التقدم والتطور وكانت الدعوة إلي بناء الجامعة الإسلامية تحت لواء الدولة العثمانية للتصدي للغزو الأوروبي واحتلال الولايات العثمانية قد دعا إليها المصلحون وحاولوا جهدهم لإقناع السلطان العثماني بها لكي تشكل الجمع الذي ينقد بلاد الإسلام واستجاب السلطان عبد الحميد الثاني ثم تخوف منها فانتكس عليها وارتد عنها الأمر الذي زاد المعاناة وتفشي الفساد وقلب الموازين نحو مزيد من الضعف وتفجر الثورات والحركات المطالبة بالإصلاح وإنقاذ الأمة من الفساد والفتن والحيلولة دون وقوع بلاد الإسلام تحت نير الاستعمار الأوروبي الذي جرد الحملات العسكرية وبدأ في عملية غزو واسعة أتت علي كثير من الولايات العثمانية خاصة في البلقان والوطن العربي.

ومن خلال الاطلاع علي المصادر والمراجع التي تناولت موضوع إبراهيم سراج الدين ودراستها وتحليلها وإجراء عملية نقدية لها نلاحظ أن هذه المصادر تعكس

وجهة نظر السلطة وتصف إبراهيم سراج الدين ضمن الذين قاموا بعمليات تهيج للأهالي وفساد وتعاون مع الأجانب وتصف الثوار والأحرار وكل من طالب بالإصلاح بأنه وراء أفكار هدامة ومن ضمن جماعة (الفرمسيون) أو الجواسيس الذين سعت الدولة الأجنبية لاستقطابهم للتجسس علي أحوال السلطنة العثمانية والتأمر علي السلطان العثماني حامي حما الإسلام وحارس ديار المسلمين وهذا ما حوته الوثائق العثمانية الموجودة بدار المحفوظات بالسرايا الحمراء سواء في مقدمتها التي حوت 34 صفحة من الحجم الكبير باللغتين التركية والعربية وتضمنت جلسات محاكمة إبراهيم سراج الدين في البداية عندما تم القبض عليه ومجموعة الشباب الذين تتلمذوا عليه في حركة جمعية " القراء تخانة" وإيقاف النائب والشيخ حمزة تم نفيهما إلي اسطنبول ثم تبدأ عملية الملاحقة التي طالت كل من حامت حولهم الشبهات ثم إجراء المحاكمة والتحقيقات مع كل من كانت له صلة بقضية إبراهيم سراج الدين وتناولت شخصيته وتفاعله في عملية الإصلاح والوعي القومي منذ أن كان في مصر يعايش حركة الإصلاح هناك ويتفاعل مع نشاطات ونضالات الحركة الوطنية وتصديها للمشاريع الاستعمارية البريطانية والفرنسية دفاعا عن الهوية العربية ثم تفاعله مع أهالي ولاية طرابلس الغرب التي عاش أوضاعها وتأثر بما وجده من تخلف يخيم علي ربوع هذه الولاية فتحرك باتجاه إنشاء جمعية القراء تخانة أو ذلك المركز الثقافي الذي بدا يعطي فيه الدروس العلمية في الظاهر وهو في الحقيقة يعمل علي تعبئة الشباب في ولاية طرابلس الغرب وتنظيمهم وتبصيرهم بما يجري ويحسسهم بذلك الوضع المزري والمتخلف الذي يسود ربوع الولاية.

أن الدفع الأساس الذي دفع إبراهيم سراج الدين لتشكيل تلك الجمعية الثقافية وجود مدارس ومعاهد علمية للجاليات الأجنبية ونشاطات ثقافية متنوعة بينما أبناء البلد لا مدارس لهم سوي تلك الكتاتيب التقليدية.

لقد اعتبرت الوثاق والمصادر العثمانية حركة إبراهيم سراج الدين بأنها جمعية إفسادية وعكست وجهة نظر سلطة الولاية في اتهام حركة الوعي القومي بأنها من صنع الأجانب وأن الذين انخرطوا في حركة الوعي القومي هم جواسيس أسندت لهم مهمة التجسس علي أحوال الولاية وزرع الفساد في ربوعها وإقلاق راحة الأهالي.

الحقيقة إن حركة المد القومي التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر كانت تستهدف تحسين أحوال الولايات العربية ضمن أطار السلطة العثمانية لكن السلطان وأعوانه اعتبروها حركة مضادة للدولة العلية إلا أن الأحداث أثبتت أن ما قامت به حركة الإصلاح والمصلحين ومن بينهم إبراهيم سراج الدين كانت استقراء للمستقبل بل وتنبآ بالحال التي ستؤول إليها الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية إذا لم يتم الإصلاح وينتشر العلم وتأخذ الثقافة مساحة في أوساط مجتمع الولايات العربية.

لقد حاربت السلطة العثمانية في الولايات العربية كل مصلح وأوقفت حركة أي أصلاح واعتبرت ذلك أفكارا إفسادية وتهييج لأحوال الأهالي ونشر الاضطراب في ربوع الولاية فشردت من شردت وألقت بالكثير من المصلحين في غيا بات السجون ومنهم إبراهيم سراج الدين وأبعدت كل من طالب بالتطور والتغير فانعكس ذلك علي الأهالي والولايات العربية وكان ذلك مقدمة لان تقع الولايات العربية ضمن الإطماع الاستعمارية.

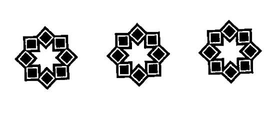
وجدير بالذكر أن هذه الجمعية الثقافية ما كان لتقام لولا تبنيها من قبل أحمد النائب والشيخ حمزة ظافر المدني وأخيه الشيخ محمد ظافر المدني الذي يلتقي في مصاهرة مع احمد النائب واجمع هؤلاء علي ضرورة تشجيع فكرة إقامة هذه الجمعية الثقافية وفتحت التبرعات كل بما يستطيع فتبرع احمد النائب بمبلغ قدره 1300 قرش وكتب أسماء المشاركين فيها وحث علي الانضمام إليها خاصة وان البلاد تفتقر لمثل هذه الجمعيات في حين أن الجاليات الأخرى تتمتع بإنشاء المدارس والجمعيات العلمية بما في ذلك جالية

اليهود وكل تلك المدارس والجمعيات الأجنبية كانت تدعمها القنصليات الأجنبية من فرنسية وانجليزية وايطالية واسبانية وغيرها.

جاء في استنطاق إبراهيم سراج الدين من قبل المحقق حينما قال لأحمد النائب في حديث مشترك معه أن العرب لإقراء تخانة لهم أي لا جمعية ثقافية أو مدارس لهم فوعد أحمد النائب إبراهيم سراج الدين بأنه سيسعي في تأسيس قراء تخانة_مدرسة) للمسلمين حيث كتب أحمد النائب عمد بلدية طرابلس أسماء الراغبين في الانتساب إلي تلك المدرسة واقبل الشباب علي هذه المدرسة وصاروا يلازمون إبراهيم سراج الدين ويتابعون أحاديثه الفكرية والثقافية ويناقشون معه الخطر الأوربي وسبل مجابهته ووسائل النهوض بالبلاد.

وبخصوص التعامل مع القناصل الأجانب والحصول علي رسائل منهم لا صحة لذلك البتة ويذكر الدكتور محمود الديك في مقالة بعنوان قراءة جديدة في قضية إبراهيم سراج الدين بمجلة الشهيد التي تصدر عن مركز جهاد الليبيين بأن مصادر أرشيف القنصلية الإيطالية المتاحة لم تذكر أي شيء عن سراج الدين ولا يوجد حتى الآن مراسلات بين القنصل الإيطالي وسراج الدين وهذه شهادة بأن إبراهيم سراج الدين لا علاقة له بالقنصليات والقناصل سواء الإيطالية أو الفرنسية أو الإنجليزية فالرجل يملك الحس السياسي وعمق الوعي القومي والحرص الإسلامي الذي جعله يعلم جيداً مخططات المستعمرين الأوروبيين وأنهم يجلسون علي طاولة واحدة ويشتركون في إستراتيجية واحدة للإعداد لغزو الوطن العربي أو بالأحرى الولايات العثمانية في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا خاصة بعد أن زحفت فرنسا علي تونس 1881 ثم غزو الإنجليز لمصر 1882 وكان استقراءه صحيحاً عندما تم الغزو الإيطالي لليبيا في بداية أكتوبر 1911.

أن كل الاتهامات التي إتهم بها إبراهيم سراج الدين كانت من فعل الدوائر الاستعمارية وفي مقدمتها الدور الذي لعبة وزير الخارجية المسيو غامبيتا القنصل الفرنسي في القاهرة ضد إبراهيم سراج الدين ونشاطه الصحفي في جريدة الحجاز والتي تم إغلاقها بتنسيق بين غامبيتا وبعض المسؤولين المصريين الخاضعين للهيمنة الأجنبية وهو نفس الدور الذي لعبه شارل فير القنصل الفرنسي في ولاية طرابلس الغرب عندما تابع نشاط القراء تخانة وأسر إلي الوالي أحمد راسم باشا بإغلاق القراء تخانة واعتقال إبراهيم سراج الدين والمنتسبين إليها بل ونفي كل من أحمد النائب والشيخ حمزة ظافر المدني إلي اسطنبول. إن السلطات الفرنسية ضربت شبكة من الملاحقات عبر قنصلياتها في القاهرة وطرابلس ناهيك عن وجودها الاستعماري في الجزائر ضد نشاط إبراهيم سراج الدين خاصة بعد أن كتب عن المجاهد الجزائري محمد أبو عمامة الذي خاض معارك الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر ثم اضطرته الظروف للالتجاء إلي المغرب، فكتب إبراهيم سراج الدين حول هذا الموضوع وطالب سلطان المغرب أن يحمي المجاهد أبو عمامة ولكن سلطان المغرب سلم أبو عمامة للفرنسيين الذين أعدموه فيما بعد. وذلك هو العداء الذي كانت تكنه فرنسا عبر قناصلها ومسؤوليها ضد إبراهيم سراج الدين ولا ننسي أن السلطات الفرنسية طردته من الجزائر وحرمت عليه العودة إليها حيت فقد زوجته الجزائرية وكذلك أبنه بسبب هذا الإجراء الظالم.



الفهرس العام




الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE